

انجیل

العدد التاسع - ٢٠١٤

حولية سنوية مُحكمة تصدر عن مكتبة الإسكندرية، مركز دراسات الخطوط



رئيس مجلس الإدارة

إسماعيل سراج الدين

مستشار التحرير

خالد عزب

مدير التحرير

عصام السعيد

نائب مدير التحرير

أحمد منصور

سكرتيرا التحرير

عزة عزت

عمرو غنيم

مراجعة لغوية

فاطمة نبيه

نرمين حجازي

مروة عادل

إخراج فني

محمد يسري

محمد شعراوي

صفاء الديب

محتوى الأبحاث لا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز دراسات الخطوط بمكتبة الإسكندرية.

أخبار

العدد التاسع - ٢٠١٤

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء النشر (فان)

أبجديات. - ٩٤ (٢٠١٤) - . - الإسكندرية : مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٤ ©.

مج. ٤ سم.

سنوي

'حولية سنوية محكمة تصدر عن مركز دراسات الخطوط، مكتبة الإسكندرية'.

١. الأبجدية -- دوريات. ٢. الخط -- تاريخ -- دوريات. ٣. النقوش -- تاريخ -- دوريات.

أ- مكتبة الإسكندرية. مركز دراسات الخطوط.

٢٠١٢٣٠٧٨٧٢

ديوي ٩-٤١١،٠

تدمك 1687-8280

ISSN 1687-8280

رقم الإيداع بدار الكتب: 2014/307872

© ٢٠١٤ مكتبة الإسكندرية.

الاستغلال غير التجاري

تم إنتاج المعلومات الواردة في هذه الحولية للاستخدام الشخصي والمنفعة العامة لأغراض غير تجارية، ويمكن إعادة إصدارها كلها أو جزء منها أو بأية طريقة أخرى، دون أي مقابل ودون تصاريح أخرى من مكتبة الإسكندرية. وإنما نطلب الآتي فقط:

- يجب على المستغلين مراعاة الدقة في إعادة إصدار المصنفات.
- الإشارة إلى مكتبة الإسكندرية بصفتها مصدر تلك المصنفات.
- لا يعتبر المصنف الناتج عن إعادة الإصدار نسخة رسمية من المواد الأصلية، ويجب ألا ينسب إلى مكتبة الإسكندرية، وألا يشار إلى أنه تمّ بدعمٍ منها.

الاستغلال التجاري

يحظر إنتاج نسخ متعددة من المواد الواردة في هذه الحولية، كلها أو جزء منها، بغرض التوزيع أو الاستغلال التجاري، إلا بموجب إذن كتابي من مكتبة الإسكندرية، وللحصول على إذن لإعادة إنتاج المواد الواردة في هذه الحولية، يرجى الاتصال بمكتبة الإسكندرية، ص.ب. ١٣٨، الشاطبي ٢١٥٢٦، الإسكندرية، مصر. البريد الإلكتروني: secretariat@bibalex.org

طُبِعَ فِي مِصْرَ

الهيئة الاستشارية

سعد بن عبد العزيز الراشد
جامعة الملك سعود، السعودية

عبد الحليم نور الدين
جامعة القاهرة، مصر

عبد الرحمن الطيب الأنصاري
جامعة الملك سعود، السعودية

عبد العزيز لعرج
جامعة الجزائر، الجزائر

عدنان الحارثي
جامعة أم القرى، السعودية

فايزة هيكل
الجامعة الأمريكية، مصر

فرانك كامرتسيل
جامعة برلين، ألمانيا

فريدريش يونجه
جامعة جوتينجن، ألمانيا

محمد إبراهيم علي
جامعة عين شمس، مصر

محمد الكحلوي
اتحاد الأثريين العرب، مصر

أحمد أمين سليم
جامعة الإسكندرية، مصر

آن ماري كريستان
جامعة باريس ٧، فرنسا

برنارد أوكين
الجامعة الأمريكية، مصر

ألساندرو روكاتي
جامعة تورينو، إيطاليا

جونتر دراير
جامعة نيويورك، أمريكا

خالد داود
جامعة الفيوم، مصر

رأفت النراوي
جامعة القاهرة، مصر

راينر هانيج
جامعة ماربورج، ألمانيا

رياض مرابط
جامعة تونس، تونس

زاهي حواس
وزير الدولة لشئون الآثار الأسبق، مصر

مصطفى العبادي

جامعة الإسكندرية، مصر

ممدوح الدماطي

جامعة عين شمس، مصر

هايكه ستيرنجر

جامعة جوتينجن، ألمانيا

محمد عبد الستار عثمان

جامعة جنوب الوادي، مصر

محمد عبد الغني

جامعة الإسكندرية، مصر

محمد حمزة

جامعة القاهرة، مصر

محمود إبراهيم حسين

جامعة القاهرة، مصر

المحتوى

قواعد النشر ٩

المقدمة عصام السعيد ١٣

الأبحاث العربية

المرأة في الكتابات الشاهدية في الشرق الجزائري «دراسة أثرية فنية مقارنة»

عبد الله كامل موسى - عائشة حنفي سعيد ١٥

النقوش التسجيلية في الفنون الإسلامية بالمغرب الأقصى (خلال العهدين الموحيدي والمريني) «دراسة أثرية فنية»

عبد العزيز صلاح سالم ٥٥

مراحل تعليم الكتابة المسمارية والمعاجم اللغوية المدرسية في العصر البابلي القديم: في مدينتي نيبور وأور

علي ياسين الجبوري ٧٧

توضيحات الفلكيين على المشترك اللغوي للعلامات الرمزية السومرية في التقارير الفلكية الآشورية الحديثة

علي ياسين الجبوري ٩٨

جرد آثاري لشواهد القبور الأثرية بمقابر مدينة غزة (١٢٣٠ - ١٣٣٦هـ / ١٨١٤ - ١٩١٧م)

فرج الحسيني ١٢٥

دراسة في مضمون النقوش الكتابية على عمائر الأشراف السعديين بالمغرب الأقصى (٩١٥ - ١٠٦٩هـ / ١٥١٠ - ١٦٥٨م)

محمد السيد محمد أبو رحاب ١٥٠

عرض كتاب

كاتب بيت الحقيقة ياروسلاف تشيرني - السيرة الذاتية

عصام السعيد ١٩٥

قواعد النشر

التقديم الأولي للمقالات

تقدم المقالات من ثلاث نسخ ليتم تقييمها ومراجعتها، ويتم في ذلك اتباع قواعد النشر المنصوص عليها في *Chicago Manual of Style* مع إدخال بعض التعديلات التي ستذكر فيما يلي:

التقديم النهائي للمقالات

- يقدم النص النهائي بعد إجراء التعديلات التي تراها لجنة المراجعة العلمية وهيئة التحرير، على قرص ممغنط، مع استخدام برنامج الكتابة MS Word وبنط ١٢ للغات الأجنبية، وبنط ١٤ للغة العربية.
- تقدم نسخة مطبوعة على ورق A4، أو ورق Standard American، وتكون الكتابة على أحد الوجهين فقط، وتترك مسافة مزدوجة بين السطور وهوامش كبيرة، مع عدم مساواة الكلام جهة الهامش الأيسر.
- يراعى عدم استخدام أنماط متعددة وأبناط مختلفة الحجم.
- لا تستخدم ألقاب مثل Dr. أو Prof.، سواء في داخل النص أو الحواشي أو عند كتابة اسم المؤلف.
- تكون جميع الأقواس هلالية مثل: () .
- تستخدم علامات التنصيص المفردة دائماً مثل: ' ' .
- يجب تجنب استخدام العلامات الحركية عند كتابة كلمات عربية باللغة الإنجليزية.
- تكتب أرقام القرون والأسرات بالحروف مثل القرن الخامس، الأسرة الثامنة عشرة.

- تستخدم الشرطة الصغيرة بين التواريخ أو أرقام الصفحات (١٢٠-١٣٠).

البنط

- يتم تزويد هيئة التحرير بأي نوع من الخط غير القياسي أو غير التقليدي على قرص ممغنط منفصل.

الحواشي السفلية

- تكتب الحواشي كحواشٍ ختامية في صفحات مستقلة ملحقة بالنص، وتترك مسافة مزدوجة بين السطور.
- تكون أرقام الحواشي مرتفعة عن مستوى السطر ولا توضع بين قوسين.
- لا يتضمن عنوان المقال أية إشارة إلى حاشية، وإذا كان هناك احتياج لإدراج حاشية بغرض تقديم الشكر وما إلى ذلك، يوضع في العنوان علامة النجمة ×، وتكون قبل الحاشية قبل رقم ١.

الملخص

- يقدم ملخص (بحد أقصى ١٥٠ كلمة) وذلك في مقدمة المقال، ويستخدم الملخص في استرجاع المعلومات ويكتب بحيث يمكن فهمه إذا ما تمت قراءته منفصلاً عن نص المقال.

الاختصارات

- بالنسبة لاختصارات أسماء الدوريات والحواليات يتبع في ذلك اختصارات Bernard Mathieu, *Abréviations des périodiques et collections en usage à l'IFAO*, 4^e éd. (Le Caire, 2003).

الكتب العلمية

E. Strouhal. *Life in Ancient Egypt* (Cambridge, 1992), 35-38.

وإذا تكرر يُكتب:

Strouhal. *Life in Ancient Egypt*, 35-38.

مثال آخر:

D.M. Bailey, *Excavations at el-Ashmunein V., Pottery, Lamps and Glass of the Late Roman and Early Arab Periods* (London, 1998), 140.

وإذا تكرر يُكتب:

Bailey, *Excavations at el-Ashmunein*, V. 140.

المراجع العربية

عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة (القاهرة، 1998)، 92.

وإذا تكرر يُكتب:

عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، 94-96.

سلسلة المطبوعات

W.M.F. Petrie, *Hyksos and Israelite Cities*, BSAE 12 (London, 1906), 37 pl. 38. A, n° 26.

وإذا تكرر يُكتب:

Petrie, *Hyksos and Israelite Cities*, 37 pl. 38. A, n° 26.

الرسائل العلمية

Joseph W. Wegner, *The Mortuary Complex of Senwosrt III: A Study of Middle Kingdom State Activity and the Cult of Osiris at Abydos* (Ph.D. Diss., University of Pennsylvania, 1996), 45-55.

ويمكن الحصول عليها من الموقع:

www.ifao.egnet.net

• يمكن استخدام الاختصارات الخاصة بعد أن تذكر بالكامل في العناوين التي يشار إليها كثيراً في المقالات الفردية، ويمكن أيضاً استخدام الصيغ المقبولة (المتعارف عليها)، مثل القاموس الطبوغرافي Moss and Porter يكتب PM (بخط غير مائل). وتكتب المراجع الأخرى كالاتي:

مقال في دورية يُكتب المرجع لأول مرة

J.D. Ray. "The Voice of Authority: Papyrus Leiden I 382", *JEA* 85 (1999), 190.

وإذا تكرر يُكتب:

Ray, *JEA* 85, 190.

مقال أو فصل في كتاب لعدة مؤلفين

Mathieson. "Magnetometer Surveys on Kiln Sites at Amarna", in B.J. Kemp (ed.), *Amarna Reports VI, EES Occasional Publications 10* (London, 1995), 218-220.

وإذا تكرر يُكتب:

Mathieson, in Kemp (ed), *Amarna Reports VI*, 218-220.

مثال آخر:

A.B. Lloyd. "The Late Period, 664-323 BC", in B.G. Trigger, B.J. Kemp, D. O'Conner and A.B. Lloyd, *Ancient Egypt: A Social History*, 279-346 (Cambridge, 1983), 279-346.

وإذا تكرر يُكتب:

Lloyd, in Trigger et al., *Ancient Egypt: A Social History*, 279-346.

وإذا تكرر يُكتب:

Wegner, *The Mortuary Complex of Senwosrt III*, 45-55.

تعليقات الصور والأشكال

- لا بد من التأكد من صحة التعليقات وأن تكتب في ورقة منفصلة وتكون المسافة بين السطور مزدوجة، وتقدم على قرص ممغنط مع النسخة النهائية للمقال.
- لا بد أن تحمل الصور والرسومات المقدمة للنشر اسم الكاتب، ورقم الصورة، أو الشكل مكتوباً بوضوح على الخلفية أو على (CD).

حقوق الطبع

- تقع المسؤولية على كاتب المقال في الحصول على تصريح باستخدام مادة علمية لها حق الطبع، وهذا يشمل النسخ المصورة من مواد تم نشرها من قبل.
- أصول الأبحاث والمقالات التي تصل إلى الحولية لا ترد أو تسترجع، سواء نشرت أم لم تنشر.
- ترفق مع البحث سيرة ذاتية مختصرة عن الكاتب.

للمزيد يرجى الاطلاع على:

<http://www.bibalex.org/calligraphycenter/abgadiyat/static/home.aspx>

الوسائل الإلكترونية

- عند الإشارة إلى مادة علمية موجودة في موقع على الإنترنت يفضل الإشارة إلى النسخة المطبوعة، فإذا لم تتوافر هذه المعلومات، فلا بد من ذكر معلومات كافية عن الموقع حتى يتمكن القارئ من مطالعته بسهولة، مثل:

<http://www.mfa.org/artemis/fullrecord.asp?oid=36525&did=200>

أو يمكن الإشارة إليها بطريقة أفضل، انظر acc.19.162 في www.mfa.org/artemis

- عند الإشارة إلى دوريات على الإنترنت أو أسطوانات (CD)، انظر الفصل الخاص بهذا في كتاب: *Chicago Manual of Style*.

- لا بد من ذكر الحروف الأولى من اسم الكاتب وتفاصيل النشر الأخرى، بما في ذلك عنوان المقال بالكامل واسم السلسلة ورقم الجزء عند الإشارة إليه للمرة الأولى، أما بعد ذلك فقط فيذكر اسم العائلة ويذكر العنوان باختصار، ويجب تجنب استخدام مصطلحات مثل: *Ibid*, *Op.cit*, *Loc.cit*، كما تجب الإشارة إلى رقم الصفحة بالتحديد وليس فقط إلى المقال ككل.

الصور

- تقدم الصور والأشكال ممسوحة مسحاً ضوئياً بدقة 300 نقطة على الأقل، وتكون الصور محفوظة في ملفات نوع .TIFF.

- لا يزيد حجم الصور عن ثلث حجم البحث.
- تقدم الصور على (CD) منفصل، ولا ترسل بالبريد الإلكتروني.

المقدمة

يزخر العدد التاسع من حولية أجدديات بمجموعة من الأبحاث القيمة التي تتعلق بموضوعات عدة في مجال الخطوط؛ حيث إن الحولية تختص بنشر أحدث الدراسات والأبحاث الخاصة بالكتابات والخطوط والنقوش في العالم عبر العصور. كما تعنى الحولية بدراسة نشأة وتطور وانتشار هذه الخطوط. ولقد كانت بداية إصدار حولية أجدديات قوية منذ ٢٠٠٦؛ فاستطاعت أن تتبوأ مكانة علمية مرموقة بين الحوليات الأثرية والعلمية العالمية، والإقليمية، والمحلية.

وتضم الحولية هيئة علمية استشارية من متخصصين، ذوي ثقل، كل في مجاله، بالإضافة إلى تنوع التخصصات التي يغطيها هؤلاء المتخصصون الذين ينتمون إلى دول مختلفة. حيث تقوم هذه الهيئة بتحكيم الأبحاث تحكيمياً أميناً ودقيقاً، وتقوم هيئة التحرير بإرسال كافة الأبحاث للمراجعة اللغوية (العربية، والإنجليزية، والفرنسية)؛ مما يسهم في نشر الأبحاث بلغة سليمة.

ومواكبة لسياسة مكتبة الإسكندرية، تم تحديث الموقع الإلكتروني الخاص بحولية أجدديات؛ للإعلان عن تلقي الأبحاث الجديدة، وكذلك لتحميل ملخصات الأبحاث على الموقع مباشرة. هذا الموقع تم إعداده بالعربية والإنجليزية، ويحتوي على ملخصات أبحاث كل الأعداد السابقة ونبذة عن كل عدد.

ويعد هذا العدد من الأعداد الهامة التي أصدرتها حولية أجدديات؛ حيث تلقى فريق تحرير الحولية العديد من الأبحاث من مختلف البلدان. ولقد خصص هذا العدد بنشر الأبحاث التي تتعلق بالنقوش والكتابات الإسلامية، سواءً في المشرق أو المغرب الإسلامي لعظمة هذه الكتابات وأهميتها. فعلى سبيل المثال، وليس الحصر، هناك دراسة في مضمون النقوش الكتابية على عمائر الأشراف السعديين بالمغرب الأقصى، وبحث آخر عن المرأة في الكتابات الشاهدية في الشرق الجزائري "دراسة أثرية فنية مقارنة"، وكذلك بحث بعنوان النقوش التسجيلية في الفنون الإسلامية بالمغرب الأقصى (خلال العهدين الموحي والمريني) دراسة أثرية فنية؛ وهناك العديد من الموضوعات الأخرى التي تتعلق بمراحل لغوية هامة.

والجدير بالذكر أن مركز دراسات الخطوط يهتم كثيراً بنشر أبحاث الشباب الواعد؛ مما يسهم في زيادة النشر العلمي. ودائماً ما ندعو كل المتخصصين في مجال النقوش والخطوط والكتابات واللغات للإسهام بأبحاثهم في حولية أجدديات.

أ. د. عصام السعيد

مدير مركز دراسات الخطوط

دراسة في مضمون النقوش الكتابية على عمائر الأشراف السعديين بالمغرب الأقصى
(٩١٥ - ١٠٦٩ هـ / ١٥١٠ - ١٦٥٨ م)

**A Study on the Content of the Inscriptions on the Buildings of the
Sharifian Saadi Dynasty of Morocco**

(During the Period between AH 915–1069/1510–1658 CE)

محمد السيد محمد أبو رحاب*

Abstract

The Sharifian Saadi Dynasty ruled Morocco for more than one century and a half, during which the Saadians achieved numerous political and military victories, the foremost of which are defeating the Portuguese army in the famous battle of Oued El Makhazeen in AH 986/1578 CE and taking control over western Sudan. Moreover, they established marvelous religious, civil, and military buildings, many of which still stand in good condition.

Numerous writings with various contents were inscribed on the façades of these buildings, ranging from Quranic and poetic verses to summoning and religious statements. Furthermore, the distinct characteristics of those inscriptions are not only artistically valuable to archaeological studies, but are also of great use to other fields, including historical studies, media, and *da'wah*, which is the matter that we aim to highlight in this research. At that time, those inscriptions were means of summoning, preaching, and guidance at a time when mass media were very limited.

The contents of those writings also reveal the devoutness of the Sharifian Saadi Dynasty, the authenticity of their faith, their jihad against the Christian occupier both verbally and with weapons, their eagerness to fight heresies and deviations from religion and to disseminate the proper Islamic faith in accordance with the mission of the Prophet Muhammad, and the demonstration of Islamic teachings to their subjects with the purpose of guiding them using various methods available at that time.

In this sense, those selected texts were inscribed on remarkable parts of the façades of their buildings, especially congregational mosques, schools, *zawiyas* (little makeshift mosques), and *saqayat* (waterings), all of which were facilities granted for the public easement of access to all Muslims. Moreover, a considerable interest had grown in the good display of those writings in order to enhance their readability and achieve the greatest possible benefit of them, for they had been necessary means of communication with the public at that time.

أطل القرن (العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي) والمغرب الأقصى في ضعف وتدهور، على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بعد أن كانت له الصدارة على كل بلاد الشمال الإفريقي والأندلس مدى قرون طويلة، فالسلطة الوطاسية التي خلفت الدولة المرينية في حكم البلاد منذ عام (٨٧٦هـ/ ١٤٨١م) عجزت عن مواجهة هذه الأزمات؛ نظرًا لضعف جهازها الإداري والمالي وتفككه.^١

وقد زاد هذه الأوضاع تعقيدًا الأخطار الخارجية التي كانت تهدد البلاد من جراء الاحتلال الإسباني والبرتغالي لمعظم السواحل المغربية؛ إذ كان المغرب كله مهددًا بالسقوط في قبضة القوى المسيحية؛ نتيجة لغيبة القوى الوطنية التي عليها تعبئة الطاقات والوقوف جبهة قوية متماسكة لمواجهة هذه الأخطار.^٢

لذلك لم يكن بد من وجود حكومة جديدة محكمة الجهاز، تستطيع توحيد الصفوف وتقوم بأعباء الجهاد والدفاع عن البلاد ضد الخطر المسيحي، وقد قدر لدولة الأشراف السعديين أن تقوم بهذا الدور، بعد أن أجمع على اختيارهم شيوخ الزوايا ورؤساء القبائل، لا سيما أن نسبهم الشريف يرقى على العصبية والأحلاف القبلية ويحظى بالاحترام لدى الجميع.^٣

هكذا لم تستند الدولة السعدية في قيامها إلى مهدوية ولا إلى عصبية قبلية؛ وإنما كان نهوضها لتحقيق أمنية وطنية، هي تنظيم القوات الجهادية وقيادتها لطرده المحتل الأجنبي لشواطئ البلاد، وذلك بطلب من المجاهدين أنفسهم، وقد أعطى هذا الحكام دولة الأشراف السعديين ثقة كبيرة واعتزازًا بأنفسهم وبلادهم، فاستطاعوا بهذه الروح المعتدة خلال فترة حكمهم - التي زادت على قرن ونصف من الزمان - (٩١٥ - ١٠٦٩ هـ / ١٥١٠ - ١٦٥٨ م)، المحافظة على استقلال المغرب الأقصى من القوى الخارجية وتحرير ثغوره من الإسبان والبرتغال،^٤

والقضاء على أعوانهم الخونة من القبائل المغربية، والقضاء على الوطاسيين والوحدات الانفصالية السياسية في البلاد،^٥ والانتصار على البرتغال في معركة وادي المخازن الشهيرة عام (٩٨٦هـ/ ١٥٧٨ م)،^٦ والتصدي للأتراك العثمانيين الذين حاولوا مرارًا السيطرة على المغرب، كما سيطروا من قبل على سائر بلاد الشمال الإفريقي وغيرها من البلاد العربية، فصار المغرب الأقصى البلد العربي الوحيد الذي لم يخضع للحكم العثماني في القرن (العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)، كما تمكنوا من فتح بلاد السودان الغربي عام (٩٩٩هـ/ ١٥٩٠ م)؛ فامتدت رقعة نفوذهم وشملت مجموع الأراضي الواقعة شمال نهر النيجر، ومملكة برنو الواقعة شرق السودان،^٧ ومن ثم فقد نجحوا في تكوين دولة لا تقل أهمية وغنى عن الدولتين المعاصرتين آنذاك العثمانية والإسبانية.^٨

كما شهد عصر الأشراف السعديين نهضة عمرانية كبرى، بعد حالة الانكماش العمراني والمعماري التي شهدتها بلاد المغرب، والتي بدأت مع نهاية الدولة المرينية واستمرت لمدة قرنين من الزمان؛ أي إلى ظهور الدولة السعدية. وقد اتسمت حركة السعديين العمرانية والمعمارية بطابع الشمولية، فمن العمائر الدينية شيّدوا مجموعة رائعة من المساجد الجامعة ومساجد الفروض والمدارس والزوايا والمساجد (مكاتب تعليم الصبيان) وخزانات الكتب، ومن المنشآت المدنية أقاموا المدن والقصور والدور والبيمارستانات والحمامات والفنادق (الوكالات) والأسواق والقناطر والسدود والسقايات (الأسبله) ومصانع السكر وغيرها، كما اهتموا بالمنشآت الحربية فشيّدوا القصاب (القلاع) والحصون والأبراج والأسوار إلى جانب مصانع الأسلحة، ولا تزال نماذج كثيرة من هذه العمائر قائمة حتى الآن بحالة جيدة بمختلف مدن المغرب الأقصى، تشهد على النضج والازدهار الذي

بلغه الفن المعماري السعدي، وتعد بحق من روائع الفن المعماري الإسلامي بوجه عام.^٩

وتصور هذه العماير جانباً مهماً من جوانب الحضارة العربية الإسلامية بالمغرب الأقصى في هذه الفترة من تاريخه الإسلامي، بوصفها ركناً مهماً من الأركان الأساسية للملك،^{١٠} ومرآة العصر والوعاء الرئيس للحضارة، وواحدة من أهم الوثائق الحقيقية التي يستند إليها في كتابة تاريخ هذه البلاد؛ وذلك من خلال استنطاقها وإثراء المعرفة بها وإلقاء الضوء على ما يمكن أن تضيفه من معلومات، تساعد على الكشف عن جوانب مهمة من التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي لعصر دولة الأشراف السعديين بصفة خاصة، والمغرب الأقصى على وجه العموم، فضلاً عن ذلك فقد وظف سلاطين هذه الدولة - كغيرهم من الدول الإسلامية شرقاً وغرباً - العمارة بما سجل عليها من نقوش كتابية في فن الدعاية والاتصال والدعوة إلى الإصلاح والأفكار والمبادئ؛ وهو مجال عرفه المسلمون منذ فترات مبكرة من تاريخ الدولة الإسلامية.^{١١}

فقد نقش الأشراف السعديون على مختلف عمائرهم كثيراً من الكتابات التي تنوعت ما بين آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة وعبارات دعائية ودينية وأشعار، كان لها ارتباط بأحداث عصرهم، ووظفوها توظيفاً جيداً في فن الدعاية والاتصال بالجمهور فيما يخص هذه الأحداث، التي كان من أهمها: قضية نسب السعديين، والصراع العقدي بين المسلمين سكان البلاد والمسيحيين المحتلين المتمثلين في البرتغال والإسبان، والبدع والخرافات التي روج لها بعض متصوفة الزوايا آنذاك بين مختلف فئات الشعب المغربي، فضلاً عن ذلك فإن عصر الأشراف السعديين يعد من عصور الجهاد والبطولات؛ حيث الحروب والصراع بينهم وبين البرتغال من جهة، وبينهم وبين الوطاسيين والأتراك العثمانيين من جهة

أخرى؛ ومن ثم تميزت الكتابات المنقوشة على العمائر السعدية بطابع مميز، كان انعكاساً لأوضاع ذلك العصر السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية.

وقد تصدى المؤرخون والفقهاء وعلماء الدين من جانبهم بالدرس والتأليف لمجابهة هذه القضايا.^{١٢} وكان للنقوش الكتابية المسجلة على العمائر السعدية بمختلف مدن المغرب، بوصفها وسيلة اتصال مهمة في ذلك الوقت، دور كبير في توعية فئات الشعب المختلفة من خطورة هذه الأمور، والرجوع إلى الشريعة الإسلامية المطهرة.

وفضلاً عما تميزت به هذه النقوش من ميزات خاصة تفيد الدراسات الآتارية من الناحية الفنية، لكونها تعكس مدى التطور الذي بلغته الكتابات الزخرفية في هذا القطر من العالم الإسلامي، فإنها تفيد الدراسات التاريخية والآتارية فائدة كبيرة؛ ذلك أنها اشتملت على نصوص حددت أسماء المنشئين وتواريخ الإنشاء وألقاباً فخرية ووظيفية صححت كثيراً من الهنات التي وقع فيها بعض المؤرخين القدامى والباحثين المحدثين على السواء، وأمطت اللثام عن حقائق تاريخية جديدة كانت خافية عنهم، كذلك تفيد في مجالات أخرى كالدعوة والإعلام؛ إذ إنها استخدمت - كما سبقت الإشارة - كوسيلة إخبارية إعلامية تظل ماثلة للعيان بصفة مستمرة وليست لفترة أو لمناسبة عابرة، في وقت كانت فيه وسائل الإعلام قليلة ومحدودة للغاية؛ إذ كانت تقتصر على الخطابة والدروس العلمية في المساجد والمدارس والزوايا، فضلاً عن المؤلفات العلمية التي كانت قليلة التداول وغير متاحة لعموم الناس؛ لقلة عدد نسخها وارتفاع أثمانها، وربما تظل حبيسة الخزانات العامة أو الخاصة ولا يطلع عليها أحد.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى ظهور الكتابات المسجلة على العمائر السعدية بكثافة شديدة في المصادر التاريخية المعاصرة لها، مقارنة بمثيلاتها التي نقشت على

العمائر المغربية السابقة على العصر السعدي، بما فيها العمائر المرينية، حتى العمائر العلوية اللاحقة على عصر السعديين، اللتين تميزتا بكثرة ما نقش عليهما من كتابات، يدل على ذلك كثرة النماذج التي وصلتنا من كتابات هذين العصرين.

فهل كان مؤرخو العصر السعدي أكثر تنبهاً من سابقهم ومن جاء بعدهم من المؤرخين المغاربة، بأهمية الكتابات بوصفها مصدرًا أصيلاً وصادقًا للمعلومات عن العمائر الحاضرة لهذه الكتابات، أم لشيوع وكثرة نقش الكتابات على العمائر السعدية عن مثيلاتها سواء السابقة أو اللاحقة عليها، أم لكون هذه الكتابات وبخاصة الأشعار المنقوشة على العمائر السعدية من نظم بعض هؤلاء المؤرخين أنفسهم الذين برعوا إلى جانب كتابة التاريخ في فنون الشعر والنثر، كابن القاضي (ت ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م) والفشتالي (١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م) والمقري (١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م)؟

وعلى الرغم من وجهة هذا الطرح الأخير، فإنه لا يمكن القطع به أو بغيره من تلك الآراء السابقة، وبخاصة في ظل ندرة المصادر والوثائق التي وصلتنا طوال القرون الخمسة الأولى بالمغرب الأقصى، التي شهدت حكم الأدارسة والزناتيين والمرابطين، لذلك كان الاعتماد في رصد مظاهر الحياة المختلفة آنذاك على مصادر التاريخ الموحدوي والمريني؛ وهي فترة طويلة نسبياً تناقصت خلالها تلك العمائر، وفقدت كثيراً من رونقها وتآكلت كثير من نقوشها؛ بفعل التقادم الزمني وما تعرضت له من هدم وإصلاحات وزيادات.^{١٣}

ومن ثم لم يجد مؤرخو العصرين الموحدوي والمريني من النقوش الكتابية المسجلة على تلك العمائر ما يمكن نقله أو الاستشهاد به في مؤلفاتهم، لا سيما أن كلاً من ابن أبي زرع (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) والجزنائي (من أهل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) قد أورد النص الكتابي المنقوش على منبر المسجد الذي شيده

المولى إدريس الأول بتلمسان عام (١٧٤ هـ / ٧٩٠ م)،^{١٤} كما أورد النص الكتابي المنقوش على المنبر الذي أمر بإنجازه إدريس الثاني لنفس المسجد بتلمسان عام (١٩٩ هـ / ٨١٤ م).^{١٥} وتعد هذه الروايات التاريخية الشاهد الوحيد على وجود هذه الكتابات التي اختفت هي وكثير غيرها باندثار وهدم وتجديد منشآت الأدارسة في الفترات اللاحقة.

غير أن المغرب الأقصى كان أحسن حالاً في هذا الصدد، فما زال يحتفظ بنموذج فريد من كتابات العصر الإدريسي، يعد هو الأقدم - حتى الآن - بهذه البلاد، وهو عبارة عن كتابات نقشت بالخط الكوفي على لوح خشبي ثبت أعلى واجهة المحراب الإدريسي بجامع القرويين - قبل الزيادة المرابطية - يشير إلى أعمال البناء التي قام بها الأمير داود بن إدريس بهذا الجامع عام (٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م)، أي بعد عشرين عاماً من بناء الجامع على يد فاطمة الفهرية.^{١٦} ومن اللافت للانتباه عدم إشارة كل من ابن أبي زرع والجزنائي، اللذين خصّصا مدينة فاس بالتأليف وضمنا مؤلفاتهما معلومات مهمة ودقيقة عنها، إلى هذه الكتابات رغم إشارتهما السابقة إلى الكتابات الإدريسية بتلمسان بالمغرب الأوسط.

وبعد الزيادة التي أحدثها أحمد بن أبي بكر الزناتي - والي فاس من قبل الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر - بجامع القرويين وبناء صومعة له ولجامع الأندلس بفاس عام (٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م)، أوردت المصادر التاريخية النقوش الكتابية التي سجلها في هذه المناسبة، وهي عبارة عن نقشين على الجص أحدهما أعلى مدخل صومعة القرويين،^{١٧} والآخر على عتب مدخل صومعة جامع الأندلس،^{١٨} لكن لا وجود لهذه الكتابات حالياً،^{١٩} رغم بقاء هاتين الصومعتين حتى الآن بحالة جيدة.

كما أوردت المصادر التاريخية الكتابات المنقوشة على المنبر الخشبي الذي أمر بصناعته المظفر بن

وعلى الرغم من ازدهار الفن المعماري في عصر الموحدين، وتميز العمائر التي شيدها بالغرب الإسلامي بصفة عامة - والتي ما زالت نماذج كثيرة منها قائمة حتى الآن بحالة جيدة - بالضخامة وكبر المساحة، فإنه يلاحظ تناقص استخدام الكتابات على هذه العمائر، فقد ندرت النصوص التأسيسية؛ لأنهم لم يوظفوا النقوش الكتابية كوسيلة لتخليد منجزاتهم المعمارية، وبذلك خالفوا التوجه العام الذي كان سائداً آنذاك في الأمصار الإسلامية الأخرى. واقتصرت النقوش الكتابية التي سجلت على هذه العمائر الموحدية على العبارات الدينية التي لم يهتموا بإبرازها للجمهور والمترددين على منشآتهم.^{٢٥}

ولعل ذلك يتمشى مع الدعوة الإصلاحية وفكرة التقشف التي ظهر بها الموحدون في أول أمرهم،^{٢٦} وربما عدوا هذه العمائر أعمالاً خيرية خالصة لله تعالى فلم يسجلوا عليها أسماءهم، غير أن هذا التوجه لم يستمر طوال العصر الموحدية، فقد تم التحول عنه مع نهاية القرن (السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، كما يلاحظ على الأعمال المعمارية التي أنجزها الخليفة الناصر الموحدية (٥٩٥-٦١٣هـ/١١٩٩-١٢١٣م)، التي تميزت فضلاً عن الثراء الزخرفي بتسجيل نصوص تأسيسية عليها.^{٢٧}

أما المرينيون فقد شيّدوا كثيراً من المنشآت الدينية والمدنية والعسكرية، وتفوق النماذج الباقية منها كل ما تبقى من منشآت الدول الأخرى التي حكمت المغرب الأقصى قبل العصر المريني، وقد تميزت هذه المنشآت بالدقة والروعة، وازدانت بزخارف رائعة غطت كل المساحات دون أن تترك أي فراغ،^{٢٨} وقد كان للكتابات نصيب كبير بين هذه الزخارف؛ إذ نقشت بكثافة كبيرة على مختلف العمائر الدينية والمدنية، إلى جانب التحف التطبيقية من معادن ونسيج وأخشاب ورخام وغيرها، كما تميز العصر المريني بانتشار ظاهرة الكتابات الوقفية

الحاجب المنصور بن أبي عامر لجامع القرويين عام (٣٩٥هـ/١٠٠٤م).^{٢٠} وقد اندثر هذا النقش أيضاً كسابقه، ولكن لحسن الحظ وصلنا نموذجان من الكتابات المغربية في القرن (الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، وكلاهما بمنبر جامع الأندلس بفاس، إحداهما مؤرخة بعام (٣٦٩هـ/٩٧٩م) وتشير إلى إنجاز هذا المنبر على يد بلقين بن زيري الصنهاجي حاكم إفريقية (المغرب الأدنى) من قبل الفاطميين، أما الأخرى فهي مؤرخة بعام (٣٧٥هـ/٩٨٥م)، وهي تسجل تجديد الأمويين لهذا المنبر بعد سيطرتهم على فاس على يد عمرو بن عبد الله ابن عم الحاجب المنصور بن أبي عامر،^{٢١} ولكن لم يلتفت المؤرخون إلى تدوين هذه الكتابات في مؤلفاتهم، وإلى جانب الدلالات السياسية لكتابات منبر جامع الأندلس التي تكشف الصراع الفاطمي الأموي على مدن المغرب الأقصى، فإنه يمكن من خلالها أيضاً رصد تطور الكتابات المغربية والروافد المؤثرة فيها آنذاك.^{٢٢}

وفي العصر المرابطي زاد النشاط المعماري وبالغ الفنانون في تجميل المنشآت بشتى أنواع الزخارف، غير أن ندرة المصادر والوثائق التي وصلتنا من العصر المرابطي - كما سبقت الإشارة - فوّت علينا رصد اهتمام مؤرخي العصر المرابطي بالاستشهاد والإفادة بالكتابات المنقوشة على تلك العمائر، كما أن تدمير الموحدين للمنشآت المرابطية بما فيها مساجدهم، لم يتيح الفرصة للمؤرخين اللاحقين على العصر المرابطي النقل والإفادة من الكتابات المنقوشة على هذه العمائر، ورغم ذلك فقد نقل ابن أبي زرع النص الكتابي المنقوش على العنزة المرابطية الأولى لجامع القرويين والمؤرخة بعام (٥٢٤هـ/١١٢٩م)،^{٢٣} كما أشار الجزنائي إلى الكتابات المنقوشة بالقبّة التي بداخل باب الشماعين أحد أبواب جامع القرويين والمؤرخة بعام (٥١٨هـ/١١٢٤م)، لكنه لم يذكر نصها.^{٢٤}

بعد وفاة والدهما محمد الشيخ (٩١٠ هـ / ١٥٠٥ م)،^{٣٤} غير أن هذا الكتاب ما زال في حكم المفقود.

وعلى الرغم من تأخر الحسن الوزان عن عصر بني مرين (ت بعد ٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م)، فإن مؤرخي العصر المريني كابن أبي زرع والجزنائي وابن مرزوق وابن الأحمر وكذلك ابن خلدون، لم تلفت انتباههم ظاهرة شيوع استخدام الكتابات على العمائر المرينية، وغاب عنهم الاستشهاد بهذه الكتابات في سياق حديثهم عن العمائر المرينية الحاضنة لهذه الكتابات، يستثنى من ذلك نموذج واحد نقله الجزنائي، يتمثل في النص الكتابي المسجل على الناوس الذي غنمه الأمير أبو مالك أثناء جهاده بجبل الفتح بالأندلس، بعد أن أرسله والده لنصرة مسلمي غرناطة عام (٧٣٣ هـ / ٣٣٣ م).^{٣٥}

وما زال كثير من مدن المغرب الأقصى كفاس ومكناس وسلا ومراكش،^{٣٦} ومدينة تلمسان بالمغرب الأوسط،^{٣٧} يحتفظ بنماذج كثيرة من العمائر المرينية المختلفة التي سجل عليها كثير من الكتابات التي تنوعت مضامينها؛ فكانت منها الآيات القرآنية، والعبارات الدعائية والدينية، والأشعار التي نُقشت لأول مرة على العمائر المغربية - وفقاً للنماذج القائمة - في العصر المريني،^{٣٨} وتحمل هذه الكتابات - في الغالب - اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء وألقابه والدعاء له، ومنها ما اتصل بوظيفة المبنى أو العمل الفني الذي دونت عليه، إلى جانب نصوص الوقف التي تتضمن الأملاك المحبسة للصرف على المنشأة،^{٣٩} فضلاً عن الكتابات المنقوشة على التحف التطبيقية من ثريات ونواقيس بعد أن حولت إلى ثريات، وأمداد نبوية، وأعلام.^{٤٠}

هكذا أصبح استخدام النقوش الكتابية على العمائر والتحف التطبيقية تقليدًا شائعًا وظاهرة عامة بالمغرب منذ العصر المريني، واستمرت هذه الظاهرة بعد ذلك في عصر الأشراف السعديين والعلويين من بعدهم، وإن كان

التي من مزاياها أنها أكثر غنى في مضامينها مقارنة بأنواع الكتابات الأخرى؛ لاشتمالها على عقد التحييس أو لائحة الوقف التي تتضمن اسم الواقف والمنشأة المستفيدة من هذه الأوقاف وتاريخ إنشائها، ثم لائحة الأملاك والعقارات الموقوفة على المنشأة.^{٢٩}

كما انتشرت أيضًا ظاهرة الكتابات الشاهدية أو الكتابات المقبرية كما يطلق عليها في الاصطلاح المغربي، أي الكتابات المنقوشة على تراكيب وشواهد القبور، بعد أن كانت محدودة للغاية في المجتمع المغربي؛ يدل على ذلك ندرة النماذج التي عُثر عليه منها حتى الآن بالمغرب الأقصى قبل العصر المريني؛ وهذا يعكس ميل المغاربة إلى تجريد قبور موتاهم من كل ما يشير إلى التعريف بهم، ولم تخرج الأسر الحاكمة عن هذه القاعدة؛ إذ لم تكشف حتى الآن - على حد علمي - كتابات شاهدية لحكام المرابطين والموحدين أو من سبقهم في الحكم بالمغرب الأقصى.^{٣٠} في حين جرت العادة في العصر المريني وفقاً لما ذكره الحسن الوزان، أن تُوضع على مقابر عليّة القوم رخامتان، واحدة عند رأسه والأخرى عند رجليه، وكان ينقش عليهما أبيات شعرية تهون ألم الفراق، كما تتضمن اسم المتوفى وتاريخ وفاته؛^{٣١} أما مقابر سلاطين بني مرين فقد وصف الوزان حاضر كل من مقبرة شالة، ومقبرة القلة بمدينة فاس، التي ذكر أن أضرحتها: «في غاية الزينة، شواهدا من مرمر مزخرف بنقوش ومنمق بألوان زاهية، حتى إن هذه الأضرحة لتملأ نفوس المتأملين فيها بالإعجاب».^{٣٢}

وقد أحصى الوزان بمقبرة شالة عام (٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م) ثلاثين قبراً لأسرة بني مرين،^{٣٣} وذكر أنه صنّف كتاباً، بعنوان «أشعار الأضرحة» جمع فيه مختلف أشعار الوعظ والزهد التي وجدها منقوشة على هذه الأضرحة والقبور وغيرها مما زاره بمختلف بلاد المغرب، وأهداه إلى أخيه ملك فاس محمد الوطاسي المعروف بالبرتغالي

الكتابات على العمائر والتحف التطبيقية، أو من حيث التنوع في الشكل والمضمون، واستمر هذا الازدهار بعد ذلك في عصر الأشراف السعديين والعلويين من بعدهم.

وعلى الرغم من ذلك فإن رصيد المغرب الأقصى من الكتابات الأثرية يعد قليلاً إذا ما قورن برصيد أقطار أخرى كمصر والشام، حتى بلاد أخرى مجاورة كالمغرب الأدنى على سبيل المثال،^{٥٠} كما يلاحظ قلة الدراسات والأبحاث التي أنجزت عن النقوش الكتابية بالمغرب الأقصى بشكل عام، إلى جانب أن الدراسات التي أنجزت بالفعل حتى الآن لم تكن شاملة؛ وإنما ركزت على مدن بعينها، وبخاصة العواصم التي كانت تمثل مركز الثقل السياسي لكثير من الدول التي تعاقبت على عرش البلاد؛ ومن ثم انصبّت هذه الدراسات على مدينتي فاس ومراكش، فضلاً عن موقع شالة الأثري، في حين لا توجد مسوحات ودراسات ميدانية شاملة لكل المدن والمواقع الأثرية المغربية الأخرى،^{٥١} التي يتوقع أن تشتمل على نقوش كتابية من شأنها أن تكمل - بإضافتها إلى ما تم دراسته ونشره - صورة معرفتنا بالنقوش الكتابية بالمغرب الأقصى، ورصد تطورها من ناحيتي الشكل والمضمون.

وقد كان للمستشرقين الفرنسيين - كما هو الحال بالمغربيين الأوسط والأدنى - فضل السبق في الاهتمام بنشر ودراسة النقوش الكتابية بالمغرب الأقصى، ولعل دراسة هلوي Hélouis عام ١٨٩٥م؛^{٥٢} القنصل الفرنسي بالمغرب آنذاك، تعد - على بساطتها - أولى هذه الدراسات، وقد نُشر فيها بيتان من الشعر نقشاً على أربع وعشرين بلاطة من الزليج كانت مثبتة على جانبي مدخل قاعة الدرس الغربية بالمدرسة البوعنانية بفاس،^{٥٣} ثم تابعت هذه الدراسات بعد ذلك كدراسة ألفرد بل Alfred Bel فيما بين ١٩١٧ - ١٩١٩م، وانصبت على نشر الكتابات العربية بفاس، وبخاصة تلك التي ترجع إلى العصر المريني،^{٥٤} ودراسة كل

مؤرخو الدولة السعدية - كابن القاضي^{٥١} والفشتالي^{٥٢} والمقري^{٥٣} - قد أكثروا من النقل والاستشهاد بتلك الكتابات في مؤلفاتهم بدرجة غير مسبوقه - كما سبقت الإشارة - ربما ليس في المغرب الأقصى فحسب، بل غيره من بلاد الغرب الإسلامي.

وعلى الرغم من أن حظ النقوش الكتابية المسجلة على العمائر العلوية - رغم كثرتها - في المصادر التاريخية المعاصرة لها أقل من حظ مثيلاتها السعدية؛ حيث يمكن حصر ما نقله المؤرخون منها في ذكر الضعيف الرباطي للكتابات التي أمر بنقشها المولى إسماعيل على باب شالة، وإشارة الناصري إلى كتابات نقشت على التراكيب الرخامية التي تعلو قبور بعض السلاطين العلويين،^{٥٤} فإن بعض هؤلاء المؤرخين العلويين كالإفراني والناصري نقل كثيرًا من الكتابات المنقوشة على العمائر السعدية، بعضها ذكره مؤرخو العصر السعدي السابق الإشارة إليهم،^{٥٥} وبعضها الآخر لم يشر إليه في المصادر التاريخية السعدية؛ كالأبيات الشعرية المنقوشة على التراكيب الرخامية لكل من أحمد المنصور،^{٥٦} وزيدان بن المنصور،^{٥٧} وعبد الملك بن زيدان،^{٥٨} ومحمد الشيخ بن زيدان؛^{٥٩} وذلك لتأخر تواريخ وفاة هؤلاء السلاطين - باستثناء أحمد المنصور - على المؤرخين السعديين السابق ذكرهم.

هكذا يكشف العرض السابق قلة ما تبقى بالمغرب الأقصى من كتابات أثرية من الفترات المبكرة، فيما بين القرن (الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) حتى منتصف القرن (السابع الهجري/ الرابع عشر الميلادي)، أي منذ بداية حكم الأدارسة حتى نهاية حكم الموحدين، مع ملاحظة اقتصار مضامين الكتابات خلال تلك الفترة على الآيات القرآنية والعبارات الدينية والدعائية، التي تتضمن - في بعض الأحيان - اسم المنشئ وألقابه وتحدد تاريخ الإنشاء. وفي العصر المريني طرأت على الكتابات تحولات مهمة، سواءً من حيث كثافة وشيوع استخدام

وقد تبع هؤلاء المستشرقين عددٌ من الباحثين المغاربة والعرب، اهتموا بدراسة الكتابات المنقوشة على عمائر المغرب الأقصى، فخصها بعضهم بدراسات مستقلة اعتمدت على المنهج التحليلي في دراسة هذه الكتابات من ناحيتي الشكل والمضمون، في حين تناولها بعضهم الآخر في إطار دراسة تاريخ المغرب الأقصى وحضارته ومنشآته المعمارية، وكذلك فنونه التطبيقية في مختلف فترات التاريخ الإسلامي لهذه البلاد.

وإن كان يلاحظ قلة عدد الدراسات التي تنتمي للنوع الأول إلى درجة تصل إلى حد الندرة، فهي تقتصر - على حد علمي - على دراستي الحاج موسى عوني، وأولاهما عن النقوش الكتابية المرينية بمدينة فاس عام ١٩٩١ م،^{٦٤} والثانية خصصت للكتابات السعدية والعلوية بنفس المدينة السابقة عام ٢٠٠٩ م،^{٦٥} وقد زودت كل منهما بالأشكال والصور التوضيحية، مع تحليل لهذه الكتابات من ناحيتي الشكل والمضمون، ومقارنتها - في بعض الأحيان - بالكتابات السابقة واللاحقة عليها.^{٦٦}

وعلى الرغم من أهمية هاتين الدراستين وتفردهما، فإن تركيز مجال الدراسة على مدينة فاس فقط لا يسمح برصد تطور الكتابات في الفترات الزمنية التي تناولتها كل دراسة منهما، فهناك كثير من المنشآت المرينية ما زال قائماً في مدن مغربية أخرى غير مدينة فاس، كتازة ووجدة ومكناس وسلا ومراكش.

وكذلك لم تكن فاس مقر حكم الأشراف السعديين، وإنما اتخذوا من مراكش عاصمة لهم، وفيها تركز نشاطهم المعماري الذي ما زال معظم نماذجه قائماً حتى الآن بحالة جيدة، وتزخره كثير من النقوش الكتابية التي تبلغ عشرات أضعاف النقوش الكتابية السعدية بمدينة فاس، التي بلغ عددها ثلاثة نماذج فقط في كل من صومعة مسجد الصاغة وجامعي القرويين والرصيف.

من باسيه وبروفنسال (Basset, et Provençal) التي أجريت عام ١٩٢٢ م عن موقع شالة الأثري،^{٦٤} ودراسة جابريل روسو (Gabriel Rousseau) عام ١٩٢٥ م، التي ركزت على نشر الكتابات المنقوشة على تراكيب وشواهد القبور التي تضمها مقبرة السعديين بمراكش،^{٦٥} ودراسة هنري دو كاستري (De Castries) عام ١٩٢٧ م، وانصبت على محاولة تصحيح بعض الأخطاء في قراءة جابريل روسو في دراسته السابقة الذكر،^{٦٦} ودراسة جاستون دفران (Gaston Deverdun) عام ١٩٥٦ م؛ التي نشر فيها الكتابات العربية المزينة للآثار المعمارية بمدينة مراكش.^{٦٧}

وفضلاً عن عدم شمولية هذه الدراسات وتركيزها على مدن بعينها كما سبقت الإشارة، يلاحظ عليها الميل إلى الاقتضاب في عرض الكتابات؛ إذ اكتفت بتحديد مكان وجود الكتابات، ثم عرض نصها بالعربية مع ترجمتها إلى الفرنسية، مع ذكر نوع الخط والقياسات وأسلوب التنفيذ، وتحليل تاريخي مقتضب في بعض الأحيان.^{٦٨} وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الدراسات - وغيرها مما لم نذكره - كان لها فضل السبق في تسليط الضوء على أهمية هذه الكتابات والحفاظ عليها من التلف والاندثار، ولفت الانتباه إلى الاستفادة منها من الناحيتين التاريخية والأثرية عند دراسة الآثار الحاضنة لها.

وإلى جانب تلك الدراسات، فإن بعض المستشرقين الفرنسيين في دراساتهم عن العمارة والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، استشهدوا فيها بالكتابات المنقوشة على كل منهما، ووظفوها في التأريخ لكثير من المعالم الأثرية، وتحديد التجديدات والزيادات التي تعرضت لها، كدراسات جورج مارسيه Georges Marçais،^{٦٩} وبوريس ماسلو Boris Maslow،^{٦٠} وهنري تيراس Henri Terrasse،^{٦١} وهنري باسيه Henri Basset،^{٦٢} ودراسة كلٌّ من روفو Revault وجولفان Golvin وأماهان Amahan،^{٦٣} وغيرهم.

خالية من الزخرفة، ونجد منه نوعاً آخر وهو الغالب يقوم على مهاد من زخارف نباتية تتألف من مراوح نخيلية وأنصافها، وتتصل بالأفرع والأوراق عقد صغيرة في هيئة الميمات؛^{٦١} كما تنوعت المادة التي نقشت عليها هذه الكتابات من الزليج (البلاطات الخزفية) إلى الخشب فالجص فالرخام فالبرونز، في حين لا توجد أية نماذج لكتابات سعدية منقوشة على الحجر.

وقد كان لاختلاف طبيعة كل مادة من هذه المواد أثر واضح في شكل وأسلوب وجودة الكتابات المنفذة عليها، من حيث كون هذه المادة شديدة الصلابة أو متوسطة الصلابة أو سهلة النقش والحفر، كما أثر أيضاً في شكل هذه الكتابات وجودتها كون المادة التي نقشت عليها هذه الكتابات ثابتة في مكانها على الجدران كالجص؛ مما يزيد من صعوبة التنفيذ على الرغم من طبيعة مادة الجص المعروفة بسهولة النقش عليها، وإما أن تكون هذه المادة منقولة أي تنفذ عليها الكتابات والزخارف في ورش الخطاطين أو النقاشين أو في موقع البناء ثم تثبت على الجدران، كما هو الحال في بلاطات الزليج وألواح الرخام والإزارات الخشبية والكتل الحجرية وقطع المعدن؛ مما يتيح للنقاش ظروفاً أفضل للعمل؛ حيث يتحكم في النقش ويتلافى الأخطاء الإملائية؛ مما يساعد على سهولة قراءة هذه الكتابات وتحقيق أكبر فائدة مرجوة منها، بوصفها وسيلة اتصال مهمة في ذلك الوقت.

ولتحقيق نفس الغرض السابق، زاد الاهتمام بحسن عرض هذه الكتابات لتسهيل قراءتها لأكثر عدد ممكن من الجمهور؛ وذلك عن طريق عدة وسائل، منها:

تباين الألوان

حرص الخطاط أو النقاش السعدي على أن يكون لون الكتابات مغايراً للون الأرضيات أو السطوح المنفذة عليها هذه الكتابات، ليتباين لونها مع لون هذه السطوح

وهذا الأمر نفسه ينطبق على المنشآت العلوية التي تركزت في مكناش وانتشرت أيضاً في الرباط ومراكش وغيرها من مدن المغرب، ومع ذلك فيبدو أن اقتصار ذلك الباحث على دراسة النقوش الكتابية بمدينة فاس دون غيرها، كان مقصوداً لتركيز الجهد والتعمق في الدراسة واستكشاف كل النصوص التي تتضمنها هذه المدينة العريقة.^{٦٧}

أما النوع الثاني من الدراسات فقد استشهد فيها مؤلفوها بالنقوش الكتابية في سياق دراستهم لتاريخ وحضارة المغرب الأقصى، فضلاً عن عمائره وتحفه التطبيقية، وقد اكتفت هذه الدراسات بذكر مكان وجود الكتابات، مع قليل من التحليل - في بعض هذه الدراسات - لهذه الكتابات من ناحيتي الشكل والمضمون.^{٦٨}

ومن هذا المنطلق تأتي أهمية إنجاز دراسة شاملة لمضمون الكتابات المنقوشة على العمائر السعدية بالمغرب الأقصى؛ لتكتمل المعرفة بهذه الكتابات من جهة، وتفتح الباب أمام دراسات أخرى أكثر شمولية تتناول هذه الكتابات من حيث الشكل، وتطور الحروف والزخارف النباتية والهندسية الملحقة بها من جهة أخرى.

وعلى أي حال، فقد نفذت هذه الكتابات بالخطين الكوفي والثلاث (اللين) معاً، مع ملاحظة تراجع استخدام الخط الكوفي في هذا العصر أمام خط الثلاث،^{٦٩} ورغم ذلك تنوعت أساليب الخط الكوفي المستخدم على العمائر السعدية؛ فنجد منها الكوفي ذا النهايات المائلة، والكوفي المضفر الذي استخدم إما على أرضية خالية من الزخرفة، وإما على مهاد من زخارف نباتية تتألف من مراوح نخيلية وأنصافها، والكوفي المضفر المرآتي الذي كتبت كلماته طرداً وعكساً، والكوفي المربع، والكوفي المربع أيضاً ذا الزخارف المعمارية،^{٧٠} كما تنوعت نماذج الخط الثلاث أيضاً؛ حيث نجد منه ما يقوم على أرضية

والجمهور، وفي هذه الحالة تكتب بخط بسيط، كما تكبر نسب هذا الخط؛ لتكون ظاهرة وسهلة القراءة (الشكلان ١، ٢)، لذلك نجد أن الأشرطة التي نقشت بداخلها هذه الكتابات تبدأ ضيقة ثم تتسع كلما ارتفع البناء؛ حيث يبلغ اتساع الشريط السفلي - كما هو الحال بمدرسة ابن يوسف بمراكش على سبيل المثال - ٢٠، ٢٠ م والذي يعلوه ٢٨، ٢٠ م، في حين يزيد اتساع الشريط الذي يتوج الواجهات على ٤٠، ٢٠ م (الشكلان ١، ٢).

موضع النقش ونسبة الإضاءة

تعددت عناصر الإضاءة في العمائر السعدية، فمنها الصحن والنوافذ بأنواعها واختلاف أماكن وجودها، بالإضافة إلى المناور والمداخل، وهي توفر الإضاءة الطبيعية لعناصر المبنى المختلفة، كذلك توجد وسائل إضاءة صناعية تتمثل في الثريات، والنواقيس التي حولت إلى ثريات، والمصابيح، والشموع. وقد أسهمت الإضاءة سواء أكانت طبيعية أم صناعية، مع وضع الكتابات في أماكن بارزة من الواجهات، على وضوح هذه الكتابات وسهولة قراءتها، فضلاً عن ذلك يلاحظ أن معظم النقوش الكتابية بالعمائر السعدية وزعت على الجدران الأربعة لصحن هذه العمائر (لوحة ١٢)، وهي صحن مكشوفة يغمرها ضوء الشمس الباهر طوال فترات النهار، وكذلك على جدران رواق القبلة بالمساجد وقاعة الصلاة والدرس بالمدارس؛ وبخاصة على جدار القبلة؛ حيث تكون الكتابات في مواجهة الواقف مباشرة داخل هذا الرواق، كما يلاحظ أن القطاع العلوي لهذا الجدار يشتمل على صف من النوافذ غشيت بستائر جصية عشقت - في الغالب - بالزجاج الملون الذي يسمح بدخول الضوء؛ مما يساعد على سهولة قراءة هذه الكتابات، في حين لا يسمح بمرور تيارات الهواء التي قد تطفئ المصابيح التي توقد ليلاً (اللوحتان ١٤، ١٣).

وتكون أكثر وضوحاً، وطبيعي أن يكون لكل مادة سواء أكانت زليجاً أم خشباً أم جصاً أم رخاماً أسلوب فني خاص؛ لتنفيذ هذا التباين، ففي حالة الزليج يتم فرش أو تثبيت بلاطات الزليج ذات اللون الواحد فوق السطح المراد زخرفته، وبعد ذلك ترسم أشكال الحروف فوق الزليج، ثم يقوم الصانع بتقشير الطبقة اللامعة باستثناء أشكال الكتابات ليظهر لون طينة الزليج الأصلية ويتباين مع لون السطح اللامع للنقوش الكتابية (اللوحتان ٢، ٣).

أما الخشب (اللوحتان ٤، ٥، ٦) والجص (اللوحتان ٧، ٨) والرخام فقد كانت الكتابات تنفذ بالحفر البارز ثم تدهن بألوان مغايرة للون سطح المادة المنفذة عليها هذه الكتابات، وتعرف هذه الطريقة عند المغاربة بـ "الزواق"،^{٧٢} وقد أكدت الروايات التاريخية المعاصرة للأشراف السعديين هذه الظاهرة، فقد ذكر الفشتالي في سياق وصفه للكتابات المنقوشة على حوائط قصر البديع بمراكش، أنها كتبت برخام أسود اللون على أرضية من رخام أبيض،^{٧٣} كما ذكر المقري في سياق حديثه عن النقوش الكتابية بمقبرة السعديين بمراكش أيضاً، أنها منفذة باللون الذهبي الساطع على الرخام الأبيض.^{٧٤}

موضع النقش مع خط البصر

نظراً لأهمية النقوش الكتابية المسجلة على العمائر السعدية كوسيلة اتصال بالجمهور، فقد روعي أن تنقش في أماكن بارزة من واجهات هذه العمائر، كما كان الحرص على أن يتوافق موضع هذه الكتابات مع مستوى خط البصر؛ حيث بدأت بارتفاع لا يقل - في الغالب - عن ١، ٦٠ م من مستوى سطح الأرض (اللوحتان ٩، ١٠، ١١)، ثم تتدرج في الارتفاع حتى تصل إلى أعلى جزء من جدران المنشآت أسفل السقف مباشرة؛ وذلك حتى يمكن رؤيتها من بعد وقرأها أكبر عدد ممكن من

تنوع المواضع التي نفذت عليها الكتابات

تنوعت مواضع الكتابات المسجلة على العمائر السعدية وبولغ في إظهارها؛ حيث نجدها في هيئة أشرطة على الواجهات الرئيسة لهذه العمائر (اللوحات ١٥، ١٦، ١٧، ١٨) (الشكلان ٣، ٤)، وبأعلى بعض فتحات مداخلها الرئيسة (لوحة ١٩) وبذلك يتحقق لأكبر عدد ممكن من الناس قراءة هذه الكتابات وإن لم يدخلوا هذه المنشآت، كما نجدها بداخل هذه المنشآت على الواجهات الأربعة المطلة على صحنونها المكشوفة (اللوحات ٩، ١٠، ١١)، وحول العقود التي تعلو محاريب المساجد والمدارس والزوايا (اللوحات ٨، ٩)، وحول عقود الأبواب والنوافذ (اللوحات ٢٠، ٢١)، وعلى أبدان بعض الأعمدة الرخامية وتيجانها (لوحة ٢٢)، وحول رقاب بعض القباب وأسفل الأسقف الخشبية (اللوحات ٥، ٦، ١٢).

فضلاً عن ذلك فإن الفنان السعدي اجتهد في ابتكار ما يضيفي جمالاً وحسناً على الخطوط التي دونت بها هذه الكتابات، فكان منها ما زين بالتلوين (الزوايا) أو كان مشجراً أو مزهراً أو مورقاً على أرضية من الزخارف النباتية أو ذا زخارف معمارية أو مرآتياً أي كتبت كلماته طرداً وعكساً (الأشكال ١، ٢، ٥، ٦، ٧)، وكل هذا كان من شأنه لفت الأنظار إلى هذه الكتابات ومن ثم قراءتها فتتحقق المنفعة بمضمونها، وتؤدي دورها كوسيلة إخبارية إعلامية.

ومن ناحية المضمون، تنوعت هذه الكتابات - كما سبقت الإشارة - ما بين آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، وعبارات دعائية ودينية وأشعار، في حين اختفت الوقفيات التي كانت رائجة في العصر المريني؛ إذ لم تصلنا أية نماذج منها - في ظل ما تم الكشف عنه حتى الآن - سواء من عصر السعديين أو العلويين من بعدهم.^{٧٥} ولعل الهدف من هذا التنوع هو توصيل الفكرة بأساليب

مختلفة؛ لتتوافق مع مشارب الناس على اختلاف ثقافتهم، كما تنوعت مضامين هذه الكتابات تنوعاً كبيراً وتعددت أغراضها، ويمكن تقسيمها إلى الأنواع الآتية:

أولاً: نقوش الإنشاء والتجديد

ويقصد بها النصوص التي تؤرخ لإنشاء العمائر الأثرية المختلفة، وما تعرضت له من تجديد أو هدم أو إضافة وغير ذلك^{٧٦}، وعلى الرغم من بقاء كثير من العمائر السعدية بحالة جيدة حتى الآن بمراكش وفاس وتارودانت وتازة والعرائش وغيرها، فإن عدداً قليلاً جداً منها يحمل نصوصاً تأسيسية، ويمكن حصرها في صومعة مسجد الصاغة بفاس القديمة، والمدرسة الغالبية المعروفة بمدرسة ابن يوسف بمراكش، وعنزة جامع الأشراف أو المواسين بالمدينة نفسها، والقبتين الشرقية والغربية بصحن جامع القرويين بفاس القديمة.

أما فيما يتعلق بمسجد الصاغة الذي يوجد بعدوة القرويين بمدينة فاس، فهو سابق في الإنشاء على العصر السعدي ثم قام السعديون ببناء صومعة له - ربما عوضاً لصومعة قديمة متهدمة كما يفهم من النص التالي - عام (٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م)، أي بعد سيطرتهم نهائياً على فاس بأربع سنوات. وقد نقشت هذه الكتابات على بلاطات من الزليج ثبتت على إحدى واجهات هذه الصومعة بارتفاع أربعة أمتار عن مستوى أرضية الشارع؛ وهي عبارة عن ثلاثة أبيات من الشعر وزعت في ستة أسطر كتبت بخط الثلث، تشير إلى تاريخ الإنشاء، ولكن لم تحدد اسم المنشئ وإنما ورد له الدعاء بالرحمة بما نصه: «اللهم يرحم من أحيا مراسمها» وهو دعاء ممات وليس دعاء حياة؛ مما يشير إلى أنه كان متوفى قبل الانتهاء من إنشاء هذه الصومعة عام (٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م)، وقد رجح أحد الباحثين أن يكون هذا المنشئ هو السلطان محمد المهدي الشيخ الذي قُتل على يد الأتراك العثمانيين في

بل يلاحظ توافق النسب بينها وبين المساحات المنفذة عليها، ونصها (اللوحتان ١٠، ١١):

من بعد تسع مئين طلقت في عام

اثنين مع السبعين قد سلفت

تبارك الله هذا منزل سبقت

له الكرامة قبل الكون في الأزل

بني في أسعد وقت وانتما حسنا

فالحمد لله حمداً غير منفصل

فسبحان الله الملك الحق المبين^{٨٢}

ويلاحظ أن تاريخ الإنشاء صيغ في هذه الكتابات بالحروف على غرار الكتابات المرينية - كما سبقت الإشارة - وليس بحساب الجمل كما شاع في العصر السعدي؛ ذلك لأن عبد الله الغالب بالله اشتهر من بين سلاطين الدولة السعودية بحبه لبني مرين ومحاولته تتبع آثارهم، وقد صرح بذلك في الكتابات المنقوشة على جدران هذه المدرسة؛ حيث يلاحظ أن الكتابات السابق الإشارة إليها المتضمنة تاريخ الإنشاء، جاء في بدايتها تمجيدياً واعتزازاً بحضارة بني مرين، بما نصه: (كان عصر بني مرين عصر العلوم والتقدم والحضارة وإن ما خلفه بنو مرين من الآثار لأعظم دليل على ذلك)، ويؤكد ذلك ما ذكره صاحب تاريخ الدولة السعودية عن هذا السلطان، أنه: (كان يتطور على شكل بني مرين أو هيئتهم ويتبع سيرتهم في المباشرة والهدنة... فاستحسن الناس أيامه بعد بني مرين)؛^{٨٣} لذلك لا غرو إذا كانت المدرسة السعودية الوحيدة - التي نحن بصدددها - التي جمعت بين وظيفتي التعليم والسكن على غرار المدارس الكثيرة التي شيدها سلاطين بني مرين - أعظم بناء المدارس بالغرب الإسلامي على الإطلاق - من إنشاء هذا السلطان السعدي عبد الله الغالب بالله، الذي نعت في الكتابات المنقوشة على شاهد قبره بـ«باني المساجد والمدارس».^{٨٤}

التاسع والعشرين من ذي الحجة عام (٩٦٤ هـ / ١٥٥٦ م) أي بيوم واحد قبل عام (٩٦٥ هـ / ١٥٥٧ م)، ونصها:

الحمد لله هذا «هكذا» صمعت «هكذا» بنيت

على أساس من التقوى ورضوان

الله يرحم من أحبى مراسمها

في مسجد الصاغة الأسني بإتقان

في عام تسع من المئين قد سلفت

من قبل خمس «هكذا» وستين بنين^{٨٥}

وأما المدرسة الغالبية المعروفة بمدرسة ابن يوسف بمراكش، فقد نسبها بعض المؤرخين إلى السلطان أبي الحسن المريني (٧٣١-٧٤٩ هـ / ١٣٣١-١٣٤٨ م)،^{٨٦} وأكد بعضهم الآخر هذا الرأي ثم ذكر أنها جددت على يد السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي عام (٩٧٠ هـ / ١٥٦٢ م)،^{٨٧} وشاركهم في هذا الرأي بعض الباحثين المحدثين،^{٨٨} في حين تشير الكتابات المنقوشة على العتب الخشبي الذي يعلو فتحة مدخلها الرئيس والمنفذة بالخط الثلث، إلى أنها من إنشاء السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي، لا سيما أن اسمه ورد في هذا النص مسبوفاً بلفظ (أقامني)؛ وهي عبارة عن بيتين من الشعر من بحر البسيط، نصها (لوحة ١٩):

أقامني للعلوم والصلاة أمير

المؤمنين وسبط خاتم الرسل

أسمى الخلائق عبد الله فادع له

يا داخلي ببلوغ منتهى الأمل

وعلى تكسية الزليج التي تغطي الجزء السفلي لواجهة بيت الصلاة المطلة على الصحن، نقشت كتابات بالخط الثلث عبارة عن أبيات من الشعر من بحر البسيط أيضاً، تشير إلى تاريخ (٩٧٢ هـ) وقد ألحق بها لفظ (بني). والشكل العام لهذه الكتابات لا يبيى عن محو أو كشط،

لعبد الله الغالب بالله منشىء هذا الجامع، بل الدولة السعدية كلها؛ فهي دولة علوية سنية شأنها شأن دولة الأدارسة العلوية التي سبقتها في حكم المغرب الأقصى، وكذلك الدولة العلوية التي حكمت بعدها وما زالت قائمة حتى الآن، في حين إن الأمر يختلف عند الدولة الفاطمية التي ترفع نسبها لعلي بن أبي طالب وفاطمة رضي الله عنهما - كالسعديين تمامًا - ولكنها شيعية المذهب؛ لذلك لم يذكر في الكتابات المنقوشة على عمائرهما من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين سوى علي بن أبي طالب.^{٨٧}

أما القبتان الشرقية والغربية بصحن جامع القرويين بمدينة فاس فهما متشابهتان تمامًا؛ حيث يتكون كل منهما من خصة من الرخام تعلوها قبة خشبية غطيت من الخارج بسقف جملوني غُطي بدوره بحطاط من القرميد المزجج باللون الأخضر، وترتكز كل قبة منهما على ثمانية أعمدة من الرخام، وقد شيدت الأولى على يد السلطان أحمد المنصور الذهبي عام (٩٩٦هـ/١٥٧٨م) وفقًا لما ذكره كلٌّ من ابن القاضي والمقري؛ وقد نظم الأول عشرة أبيات من الشعر لتنقش داخل هذه القبة، تضمن أولها اسم منشئها أبي العباس المنصور:

كهف الملوك أبو العباس أنشأني

بحر المكارم من معد بن عدنان

في حين تضمن البيت الأخير تاريخ الإنشاء بحساب الجمل على طريقة المغاربة في حساب قيمة الحروف، بما نصه:

إذ شادني زمن التاريخ وافقه

للدن والأجر بحر الجود سواني^{٨٨}

لكن لا وجود لهذه الكتابات حاليًا بداخل القبة الشرقية، على الرغم من تأكيد المقري شاهد العيان على أنه رآها منقوشة بداخل القبة المذكورة،^{٨٩} فربما طمست

أما بالنسبة لعنزة جامع الأشراف المعروف حاليًا بجامع المواسين بمراكش، فقد شيد وفقًا لروايات المؤرخين عام (٩٧٠هـ/١٥٦٢م) على يد السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي،^{٩٥} ولا يتضمن هذا المسجد حاليًا نصوصًا تأسيسية باستثناء الحجاب الخشبي الذي يغلق على فتحة العقد الأوسط لواجهة رواق القبلة المطل على الصحن، والذي يعرف في اصطلاح المغاربة بالعنزة كما سبقت الإشارة، ويبلغ ارتفاع هذا الحجاب ٢,٨٥م توج بصف من شُرافات مدرجة، وهو مقسم إلى ثلاثة أقسام عرض كل منها ١,٣٠م، يشتمل الأوسط منها على حشوة مستطيلة يبلغ عرضها ٠,٣٨م وارتفاعها ١,٠٢م نقشت عليها كتابات بالخط الثلث لا يقرأ منها حاليًا سوى البسملة، في حين تآكلت بعض حروفها بفعل الرطوبة والأمطار واختفى بعضها الآخر تحت طبقة من الدهان الحديث (لوحة ٢٠).

أما القسمان الجانبيان فيشتمل كل منهما على حَوْخة عرضها ٠,٥٥م وارتفاعها ١,٧٠م، توجت بعقد على هيئة حُدوة فِرس ويغلق عليها باب خشبي من مصراع واحد، يؤدي كل منهما إلى رواق القبلة (لوحة ٤)، ويعلو القسم الأوسط حشوة مستطيلة توجت بعقد نصف مستدير، في حين يعلو كل قسم من القسمين الجانبيين حشوة مربعة، وقد زينت هذه الحشوات الثلاث بكتابات بالخط الكوفي المربع، يبدأ نصُّها على الحشوة الوسطى لظهر الحجاب من جهة رواق القبلة: (أمر بعمل هذا مولانا عبد الله أيده الله) (شكل ٨، لوحة ٤)، أما بالنسبة للحشوتين المربعتين لوجه الحجاب من جهة الصحن، فنصها على الحشوة اليمنى (قاصدًا بذلك)، ونصها على الحشوة اليسرى (وجه الله العظيم)، أما على الحشوة الوسطى لوجه الحجاب فنصها: (الله محمد أبو بكر عمر عثمان علي)^{٩٦} (لوحة ٢٠).

ويعد ورود أسماء الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان مع علي ﷺ أجمعين في هذا النص، دليلًا على المذهب السني

فربما تأكلت كتابات هذه الواجهة بفعل الأمطار والتقلبات الجوية، لا سيما أن منشآت مدينة فاس تتعرض لتساقط الأمطار الآتية غالباً من الغرب؛ ومن ثم فإن الواجهات الشرقية لهذه المنشآت تتضرر بفعل الأمطار المتساقطة عليها، فتم استبدالها أثناء التجديدات بذيئك البيتين السابق الإشارة إليهما، لا سيما أن هذه القبة وكذلك القبة الغربية المقابلة لها جددتا في العصر العلوي على يد السلطان يوسف العلوي كما سبقت الإشارة. ومما يعزز هذا الرأي الاختلاف الواضح بين شكل الحروف المنقوشة على هذه الواجهة والزخارف النباتية التي تتخللها مع حروف وزخارف الواجهتين الأخريين.^{٩٣}

الواجهة الشمالية

ابن نبي الهدى المنصور أبدعني

من فيض نعماه ما بين الوري انتشرا

فعال بره لا يحصى تعددها

خبر آثاره يصدق الخبر^{٩٤}

أما القبة الغربية بصحن جامع القرويين فقد شيدها الأمير عبد الله بن محمد الشيخ المأمون بن أحمد المنصور، وذلك عام (١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م) في تكوين معماري يشبه - بل يفوق في الروعة - قبة جده المنصور بالجهة الشرقية لهذا الصحن، ويشبه الشكل العام للخصتين والقبتين السعديتين ووقعهما بمحور الصحن مثيلتهما بساحة الأسود في قصر الحمراء بغرناطة.^{٩٥} وعلى الواجهات الثلاث الخارجية لهذه القبة وكذلك بدائر هذه القبة من الداخل توجد كتابات بخط الثلث، عبارة عن أبيات من الشعر تحمل اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء (لوحة ٢٣)، نصها على الواجهة الشمالية:

بدائعي نسخت لما تلت سورا

من الجمال الذي أبدا بها سورا

في التجديدات التي تعرضت لها هذه القبة بعد ذلك، وبخاصة في عهد السلطان يوسف بن الحسن الأول العلوي (ت ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م)،^{٩٦} في حين ما زالت الواجهات الخارجية الثلاث الجنوبية والشرقية والشمالية لهذه القبة تحتفظ بكتاباتهما؛ وهي عبارة عن أبيات من الشعر من نظم الأديب أبي العباس أحمد بن محمد الغرديس (ت ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م)،^{٩٧} كتبت على الخشب بالخط الثلث؛ بيتان على كل واجهة من هذه الواجهات الثلاث؛ وهي تشير إلى اسم المنشئ أحمد المنصور، لكن لا تتضمن تاريخ الإنشاء (لوحة ١).

الواجهة الجنوبية

حُسن سنا منظري يستوقف النظرا

وفائق الصنع مني طرز الطورا

حباب ماء من الدر النثير غدا

صوب وردي من ذوب اللجين جرى

الواجهة الشرقية

انظر إلى صنعي البديع الرائق

متأملاً في منظري الفائق

وارشف حباب زلالى الفائق

كالدر إذ يبدو

ويلاحظ على هذين البيتين أنهما مخالفان لما ورد في قصيدة الغرديس التي تناقلتها المصادر التاريخية، والتي ذكرت هذين البيتين على هذا النحو:

لا ينثني راشف ثغري من ظمأ

إلا ويحمد مني الورد والصدرا

من أم قُربي بفرض أو بنافلة

يجد معيني معيناً للطهور سرا^{٩٨}

آيات تلك التي قالت مصرحة

يا من ترشف عذب الماء من ظمأ

حُسن سنا منظري يستوقف النظرا

عليك أقسمت بالأحزاب والنور

الواجهة الغربية

فحقها أن تحط الرأس صاغرة

تدعو بنصر لمن لاحت محاسنه

على الدنا كهلال فوق ديجور

والكوثر العذب من ماء المعين جرى

خليفة الله من في النبوءة قد

علت به همة بالنصر مغمور

ولي فخار عليها بانتسابي إلى

هو الإمام الذي حاز منزلة

عبد الإله الذي كل الوري برا

عند الإله بدار الخلد والهور

الواجهة الجنوبية

ابن الإمام الرضي المأمون من عَظَمَت

أبو محمد عبد الله أفضل من

حلاه ربي بسجف الحسن والنور

وسادت بالعلامُ مُضرا

من لا يزال وعين الله تكلؤه

من شر ما يتقى وكل محذور

في عام (زهو) بعيد الألف به قريش

لهجرة من دنا من ربه وسرى^{٩٦}

أخلص له دعوة تمحو إساءته

بجاه أم القرى والبيت والطور^{٩٨}

يلاحظ أن هذا البيت الأخير تضمن تاريخ الإنشاء، وقد عبر عنه بطريقتين إذ كتب رقم الألف بالحروف، وهي الطريقة التي كانت شائعة في كتابة تاريخ الإنشاء في العصر المريني، في حين إن السنوات المضافة إليه كُتبت بحساب الجمل الذي شاع استخدامه في عصر السعديين، وقد رمز إليه بكلمة (زهو) التي تعادل ثمانية عشر، فيصبح تاريخ إنشاء هذه القبة هو عام (١٠١٨هـ/١٦٠٩م)، ويشير هذا النموذج إلى أن التحول في التعبير عن التاريخ جاء بالتدرج، كما أنه يعد النموذج الوحيد - على حد علمي - الذي وصل إلينا من العصر السعدي تم الجمع فيه بين صيغتين للتعبير عن التاريخ.^{٩٧}

وبدائر هذه القبة من الداخل نقشت هذه الآيات:

يا واقفاً سره صني وتصويري

حسن سناي بديع غير منكور

وبمراجعة نصوص إنشاء العمائر السعدية السابق الإشارة إليها يلاحظ أنها لم تُصغ على منوال الكتابات التأسيسية في مصر وبعض بلاد المشرق الإسلامي الأخرى، التي تشتمل عادة على اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء، كما أنها تُحدد وظيفة المنشأة سواء كانت مسجداً أو جامعاً أو مدرسة أو غير ذلك، وقد تمدنا أحياناً باسم المباشر للعمل،^{٩٩} بل إنها لا تتفق مع الكتابات التأسيسية المرينية السابقة عليها سواءً من حيث ترتيب عباراتها أو المعطيات التي تقدمها؛ إذ كانت تتضمن هذه الأخيرة الفعل الدال على الأمر بالبناء، واسم المنشئ وألقابه واسم أبيه وألقابه أيضاً، وتحديد مسمى أو وظيفة المنشأة، وتاريخ الفراغ من البناء، الذي يكون مكتوباً بالحروف - كما سبقت الإشارة - وفي بعض الأحيان أسماء المشرفين على الإنشاء.^{١٠٠}

النبوية الشريفة، إلى جانب أن قيامهم بالجهاد لتحرير الثغور من العدو الأيبيري أضحى الشرعية على حكمهم، كما أنهم وظفوا صفة النسب للتمييز عن منافسيهم المواطنين، وربما لتبرير فكرة الاستقلال وعدم الخضوع للأتراك العثمانيين كسائر بلاد المغرب، بل البلاد العربية والإسلامية الأخرى؛ إذ ارتكزت هذه الفكرة قبل كل شيء على كون السلطان السعدي شريفياً، في حين السلطان العثماني أعجمياً.^{١١٢}

ومن هنا يظهر حرص السعديين على إبراز نسبهم الشريف، وإشهار انتمائهم إلى سلالة الرسول عليه الصلاة والسلام في كتاباتهم المنقوشة على مختلف الآثار وغيرها من الوثائق، فقد أكثروا على عمائرهم وتراكيب وشواهد قبورهم من الاستشهاد بهذه الآية الكريمة: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)،^{١١٣} وكذلك الآية الكريمة: (رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ)،^{١١٤} وكلاهما تشير إلى فضل أهل البيت النبوي الشريف وتزكية الله سبحانه وتعالى لهم.

كما نقش على عمائرهم وشواهد وتراكيب قبورهم أيضاً كثير من العبارات والألقاب ذات الصلة بالنسب الشريف؛ إذ نعت كل من محمد القائم مؤسس الدولة السعدية، ومحمد الشيخ، وأحمد المنصور، والأمير محمد ابن عبد القادر بن محمد الشيخ، وزيدان بن المنصور، وكذلك الوليد بن زيدان، ومحمد الشيخ الأصغر بن زيدان بد(الشريف الحسني)،^{١١٥} ووصف عبد الله الغالب بالله بد(الشريف الحسني العلوي)،^{١١٦} كما نعت هذا الأخير أيضاً بد(ابن الشرف الفاطمي)،^{١١٧} ووصفت رقية بنت أحمد المنصور بد(الشريفة الحسنية)،^{١١٨} ووصف عبد الله الغالب بالله بد(سبط خاتم الرسل)^{١١٩} (لوحة ١٩)، ووصف عبد المهيم من أحد أفراد الأسرة السعدية بد(سبط من فخرت بمبعثه البطاح)،^{١٢٠} ونعت أحمد المنصور بأنه (فرع خير الخلق).^{١٢١}

وعلى الرغم من ذلك فقد وجدت هذه المعلومات على بعض التحف التطبيقية السعدية، وبخاصة التي صنعت في عهد عبد الله الغالب بالله؛ كالمدفع المعروف بالمدخل الرئيس للبرج الشمالي المستخدم حالياً كمتحف للأسلحة،^{١١١} الأمر الذي يشير إلى مدى تأثير الغالب بهم إلى درجة الاقتباس من طرز فنونهم المختلفة كما سبقت الإشارة.

ثانياً: دلالات سياسية «إثبات النسب الشريف»

ينتسب السعديون إلى السلالة النبوية؛ حيث يرفعون نسبهم إلى الأشراف الحسينيين، ويتضح هذا من خلال تحلية سلاطينهم في الكتابات المنقوشة على مسكوكاتهم بالألقاب الدالة على ذلك،^{١١٢} وكذلك في الظهائر والرسائل السلطانية الصادرة عنهم،^{١١٣} وعلى عمائرهم وعلى تراكيب وشواهد القبور الخاصة بهم، ورغم وجود من يطعن في نسبهم هذا مدعياً نسبتهم إلى أصول أخرى،^{١١٤} فإن كثيراً من المؤرخين والمعاصرين منهم للسعديين بصفة خاصة، أثبتوا صحة هذا النسب الشريف، وأجمعوا على أن جدهم زيدان قدم من ينبع بالحجاز، واستقر في منطقة درعة بجنوب المغرب، بطلب من أهلها الذين تطلعوا إلى الانتفاع به لتصلح ثمارهم، ومن هؤلاء المؤرخين ابن القاضي (ت ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م)،^{١١٥} والفشتالي (ت ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م)،^{١١٦} والمقري (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م)،^{١١٧} وابن الوقاد التلمساني (توفي بعد عام ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٧ م)،^{١١٨} أو من جاء بعدهم كابن عيشون الشراط (ت ١١٠٩ هـ / ١٦٩٧ م)،^{١١٩} والإفراني (توفي بعد ١١٥٧ هـ / ١٧٤٥ م)،^{١٢٠} والناصرى (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م).^{١٢١}

ومن الثابت أن السعديين اعتمدوا كثيراً على النسب الشريف في الوصول إلى الحكم، ثم أصبح بمثابة حجة على رعاياهم لعدم مخالفة أوامرهم لوجوب طاعة الإمامة

للقائم بأمر المسلمين (خليفة الله)، وأجاز البغوي ذلك في حق آدم وداود عليهما السلام دون غيرهما، محتجًا بقوله تعالى في حق آدم: (إني جاعلك في الأرض خليفة)، وقوله تعالى في حق داود: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض)، قال: ولا يسمى أحد خليفة الله بعدهما. وأجاز الزمخشري ذلك في سائر الأنبياء عليهم السلام.^{١٢٦}

والواقع أن عبد الله بن محمد الشيخ المذكور لم تتجاوز سلطته حدود مدينة فاس، بل إن الاضطرابات الكثيرة التي عرفتها هذه المدينة في عهده؛ بسبب سوء سيرته وعبث أنصاره من عرب شراقة، جعلت أهل هذه المدينة ينقسمون بسببها إلى فريقين، مؤيدين له وهم أهل فاس الجديد، ومعارضين له وهم أهل فاس القديم، الذي استمر في محاربتهم من سنة (١٠٢٠هـ / ١٦١١م) إلى وفاته سنة (١٠٣٢هـ / ١٦٢٣م)؛^{١٢٧} الأمر الذي يشير إلى مبالغة ناظم هذه الأبيات الشعرية في نعت هذا السلطان بلقب (خليفة الله).

وارتباطًا بلقب (الشريف) حمل السلاطين السعديون لقب (الإمام)، كمحمد الشيخ الذي وصف به (الإمام) وبـ (إمام الهدى) وبـ (الإمام الأعظم)،^{١٢٨} كما نعت عبد الله الغالب بـ (إمام السجادة والمحراب)^{١٢٩}، ولقب أحمد المنصور بـ (الإمام) وبـ (إمام الأمة)،^{١٣٠} ونعت عبد الله المأمون بن محمد الشيخ بن أحمد المنصور بـ (الإمام)،^{١٣١} كما لقب محمد الشيخ الأصغر بن زيدان بـ (إمام الأنام)،^{١٣٢} أي إمام الإنس والجن، وقد يفهم من هذا اللقب قوة نفوذ هذا السلطان وسعة ملكه، غير أن الواقع غير ذلك تمامًا؛ فقد ذكر الإفرائي أنه كان: (منكوس الراية مهزوم الجيش) ولم يتمكن رغم طول فترة حكمه - التي بلغت إحدى وعشرين سنة - من إقرار سلطته إلا على مدينة مراكش وجزء صغير من المناطق المجاورة لها، ومن ثم جاء لقب هذا السلطان بهذا اللقب من قبيل الدعاية السياسية، لا سيما أن القوى

وفي السياق نفسه ذكرت الكتابات المنقوشة على شاهد قبر محمد الشيخ أنه (اختاره الله لإرشاد الأمة... وارتضاه لتجديد شريعة جده عليه السلام)،^{١٢٢} كما استهلكت الكتابات المنقوشة على شاهد قبر لالة مسعودة والدة أحمد المنصور بحديث الرسول عليه السلام (كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي وكل بني أثنى فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإنني أنا أبوهم وعصبتهم)،^{١٢٣} كذلك نقش على التركيبة التي تعلو قبر نوار زوجة السلطان زيدان بن أحمد المنصور، أنها (الفايزة «هكذا» بسعادة الانتظام في سلك أهل البيت رضي الله عنهم الحائزة «هكذا» لشرف الانتماء لجناهم فإن مولى القوم منهم).^{١٢٤}

كما تحمل الأبيات الشعرية المنقوشة على القبة الغربية التي شيدها عبد الله بن محمد المأمون حفيد أحمد المنصور السابق ذكرها، الإشارة إلى نسبة السعديين إلى قريش وإلى بيت النبوة،^{١٣٥} كما يتضح من هذين البيتين:

في عام (زهو) بعيد الألف به قريش

لهجرة من دنا من ربه وسرى

خليفة الله من في النبوءة قد

علت به همة بالنصر مغمور

أما لقب (خليفة الله) - الذي نعت به عبد الله بن محمد المأمون في هذا النص الذي لم تتجاوز سلطته مدينة فاس بل فاس الجديد بالتحديد - فقد تباينت آراء الفقهاء والعلماء في إطلاقه على الحكام؛ فقد ذكر الماوردي أنه يقال في الخليفة (خليفة الله)؛ لقيامه بحقوقه تعالى في خلقه احتجاجًا بقوله تعالى: (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض)، وامتنع جمهور الفقهاء عن ذلك ونسبوا قائله إلى التجوز محتجين بأنه إنما يستخلف من يغيب أو يموت. والله تعالى باق موجود على الأبد ولا يغيب ولا يموت، وذكر النووي أنه ينبغي ألا يقال

هكذا يتبين أن الكتابات المنقوشة على العمائر السعدية شكلت أحد المحاور الرئيسة التي وظفها السعديون لإثبات نسبهم الشريف، والترويج له بين الجمهور، بوصفها وسيلة اتصال مهمة استخدمت للدعاية في ذلك الوقت، ومكملة للدور الذي قام به مؤرخو الدولة السعدية؛ كالفشتالي وابن القاضي والمقري الذين أجمعوا على صحة النسب الشريف للسعديين كما سبقت الإشارة.

ثالثاً: دلالات دينية «مقاومة ظاهرة التبشير ومخاربات البدع والخرافات»

(أ) - مقاومة ظاهرة التبشير

لقد سيطر على المناخ الديني بالمغرب في عصر الأشراف السعديين صراع عقدي بين المسلمين المغاربة والمسيحيين من الإسبان والبرتغال الذين احتلوا مدناً مغربية كثيرة آنذاك - فضلاً عن انتشار البدع والخرافات التي روج لها بعض متصوفة الزوايا - لذلك تعد سورة الإخلاص وآية الكرسي^{١٣٩} من النصوص الأساسية التي نقشت بكثرة على واجهات العمائر السعدية (لوحة ٢، شكل ٩). وتعكس هذه النصوص التي تلخص عقيدة الإسلام القائمة على التوحيد أثر الأوضاع السياسية التي كانت تمر بها البلاد آنذاك؛ حيث اكتسى الغزو البرتغالي لبلاد المغرب صبغة دينية وأفصحت الإجراءات سواء تلك التي مهدت للغزو أو صاحبتة عن عداوة شديدة للمسلمين، وعن رغبة عمياء في القضاء على الإسلام بالمغرب؛ فقد جندت الكنيسة كل إمكاناتها لتحقيق هذا الهدف، فأصدرت البابوية قرارات متعددة تحث المسيحيين على تمويل الغزو البرتغالي للمغرب، وتضفي عليه طابع المشروع، وعملت على تنمية روح الحقد والعداء ضد المسلمين في نفوس المسيحيين، وأرسلت الكنيسة عدداً من رهبانها وكهنتها إلى المغرب لتنفيذ المخططات الرامية إلى تنصير المغاربة فأقاموا مؤسساتهم الدينية، وصبوا حقدهم الأعمى على

المنافسة له التي لم يستطع هزيمتها عسكرياً استقلت تماماً عن السلطة السعدية، فتحوّلت الزاوية الدلالية إلى دولة حقيقية، وبسط العياشي سلطته على سلا والمناطق الممتدة بجوارها، تامسناً جنوباً وتازة شرقاً، في حين بدأ العلويون دعائيتهم السياسية.^{١٣٣}

وعلى أية حال، فالإمام في اللغة هو الذي يُقتدى به، وقد خص الشيعة علي بن أبي طالب ﷺ بلقب «الإمام»؛ لأنه في نظرهم أحق بإمامة الصلاة من أبي بكر الصديق ﷺ، وهم يصفون كل من يستحق الخلافة بـ«الإمام»، الذي يعد أحد الألقاب الأربعة التي يلقب بها الخلفاء؛ ويعد هذا اللقب من الألقاب المستجدة للخليفة أثناء الدولة العباسية؛ إذ إن أول من تلقب به هو إبراهيم ابن محمد بن عباس عندما بويع له بالخلافة،^{١٣٤} ومن ثم يتبين أن السعديين أرادوا بحملهم لهذين اللقبين التأكيد على أحقيتهم في الإمامة والخلافة، فهم الأشراف والأئمة من أبناء فاطمة وعلي - رضي الله عنهما -.^{١٣٥}

ومن هذا المنطلق يمكن تفسير اختلاف صبغة الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام التي نقشت على واجهات العمائر السعدية وكذلك على تراكيب وشواهد قبورهم، عن مثيلاتها التي نقشت على العمائر المرينية السابقة عليها؛ حيث نجد صيغتها - في الغالب - على الأخيرة بما نصه: (صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلي آله وصحبه وسلم تسليمًا)،^{١٣٦} في حين نقشت على الواجهة الشرقية لصحن مدرسة ابن يوسف بمراكش، على هذا النحو: (صلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد المصطفى الكريم وعلي آله وصحبه وبنيه وآل بيته أفضل الصلاة وأزكى التسليم)^{١٣٧} (شكل ١)، (لوحة ١٢)، ونصها على شاهد قبر لالة مسعودة والدة أحمد المنصور: (صلى الله أولاً وآخرًا على سيدنا ومولانا محمد وآله وأزواجه وذريته وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين).^{١٣٨}

مساجد المسلمين وزواياهم بالمناطق التي احتلوا بنهبها وتنجيسها، وهدم الكثير منها وتحويلها إلى كنائس.^{١٤٠}

بل قد تجاوزت المحاولات التبشيرية في بعض الأحيان إطار الرعاية وعامة الشعب المغربي، لتصل إلى بعض الأمراء السعديين أنفسهم؛ من ذلك ما قام به البرتغالي دييغو دي توريس (النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي) تجاه أحد الأمراء من أبناء السلطان محمد الشيخ عام (١٥٤٩/١٥٦٠هـ).^{١٤١}

وتواصل الآيات القرآنية المسجلة على العمائر السعدية لتؤكد وحدانية الله سبحانه وتعالى وإقرار الإيمان والتصديق بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة عليهم من السماء، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض باذن الله، حتى نسخ الجميع بالإسلام الذي نزل على محمد عليه الصلاة والسلام، بما نصه: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ مِنْ بَيْنِ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^{١٤٢}.

ومن هذه الآيات المختارة ما يشير إلى ما أعده الله لمن يتمسك بالدين الحنيف وعقاب من يرتد عن دينه، بما نصه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْدَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَلِيبٌ السُّوءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَسَيَّجُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَيَسُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^{١٤٣}.

وقد أشارت المصادر التاريخية المغربية والأجنبية على السواء إلى وجود حالات من التنصر والارتداد عن الإسلام بالمغرب أثناء الاحتلال البرتغالي، وبخاصة في المناطق التي كانت تحت سلطة البرتغاليين؛ فقد وردت في كتب النوازل فتاوى حول المرتدين،^{١٤٤} كما وردت بكتب المؤرخين البرتغاليين إشارات بالمتنصرين من المسلمين، وتنويه بتبشيرهم بالدين المسيحي حتى الموت.^{١٤٥}

حقيقة لم تكن ظاهرة الردة بالمغرب نتيجة للعمل التبشيري، ولكنها كانت نتيجة لظروف القاهرة، وتعبيراً عن الأزمات الحادة التي عانى منها المغاربة في تلك الظروف العصيبة؛ بسبب انتصار المسيحيين وكثرة الحروب والأسر والمجاعات، فلم تكن ردة المسلم وتنصره كرهاً في الإسلام، ولا اقتناعاً بالمسيحية، بل كانت مظهرًا لضعفه أمام التحديات الخطيرة التي واجهته.^{١٤٦}

وتتضمن النصوص القرآنية بالعمائر السعدية آيات تفضح المنافقين والمرتدين - في كل زمان ومكان - وتكشف عظم هذا الجرم، بما نصه: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ وَا بِمَا لَمْ يَبَالُوا وَمَا نَعَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرُسُلُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^{١٤٧}.

وفصلت آيات أخرى نقشت على واجهات هذه العمائر عفو الله سبحانه وتعالى ومغفرته للمؤمنين من عباده وما أعده لهم من جنات ونعيم: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿١١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٤﴾ لَا

سبحانه وأن الغلبة والتمكين في الأرض لعباده الصالحين ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^{١٥٧} ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^{١٥٨} ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^{١٥٩} ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ﴾^{١٥٩}.

ولنفس الغرض سجلت على العمائر السعدية ألقاباً فخرية ودينية تعكس أحداثاً تاريخية وأعمالاً قام بها السلاطين السعديون، تتعلق بالجهاد ومحاربة أعداء الدين؛ كمحمد الشيخ الذي نُعت في الكتابات المنقوشة على شاهد قبره بـ(ناصر الإسلام ومذل عبدة الأصنام الضارب في ذات الله بالسنان والحسام)،^{١٦٠} ووصفته بأنه (أرهف سيف اجتهاده واستوى على جودي جهاده فصدع بأمر الله الذي جعله لوقاية الإسلام عصاماً ولشمل الأمة نظاماً.... فجاهد وغزا)،^{١٦١} وعبد الله الغالب الذي لقب في الكتابات المنقوشة على مدفعه المحفوظ بمتحف الأسلحة بفاس، وعلى شاهد قبره بـ(المجاهد في سبيل الله)،^{١٦٢} ووصف في الكتابات الأخيرة، بـ(العناية بالغزو والجهاد تارة بالجوار المنشآت في البحر كالأعلام وتارة بالمطهومات الجياد)^{١٦٣}، ونُعت زيدان بن أحمد المنصور في الكتابات المنقوشة على التركيبة التي تعلو قبره بـ(حامي حمى الدين بكل ذابل وباتر)،^{١٦٤} ووصفت إحدى أمهات السلاطين السعديين على تركيبة قبرها، بأنها (أم من غزا الجيوش بالعوالي السمهرية)؛^{١٦٥} حيث كان الجهاد وطرده المحتل البرتغالي والإسباني من الثغور المغربية هي الركيزة الأساسية لقيام دولة السعديين، ولعل تسجيل هذه الألقاب على عمائرهم يعد إلى جانب كونه إعلاناً عن قيامهم بواجب الجهاد، نوعاً من دعوة رعاياهم إلى الجهاد وطرده أعداء الله من البلاد.

ووضحت آيات أخرى سجلت على العمائر السعدية فضل أهل البيت النبوي الشريف وتزكية الله لهم كما سبقت الإشارة، بما نصه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَلِيدُونَ﴾^{١٦٦} ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَجُ الْأَكْبَرُ وَنُنَلِّقُهُمُ الْمَلَتِيكَةَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^{١٥٠} (شكل ٦)، ﴿وَالذِّبْنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^{١٥١} (شكل ٥).

وتواصلت النصوص القرآنية المختارة المنقوشة على العمائر السعدية؛ لتوعية الناس والدعوة إلى تعليمهم أمور دينهم؛ ومن ثم مقاومة مظاهر التبشير، فمن الآيات ما يشير إلى فضل تعمير المساجد بالصلاة والذكر، بما نصه: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^{١٦٧} ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تجارةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾^{١٥٢} ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسِ إِلَى عَسَى آتِلَ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^{١٥٣} ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِيمُهُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^{١٥٤} وسجلت آيات أخرى على واجهات هذه العمائر، تشير إلى فضل الفقه في الدين وارتفاع منزلة العلماء، بما نصه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^{١٥٥}.

وفي إطار السياسة الحربية وأحداثها والصراعات التي شهدتها عصر الأشراف السعديين، سواء مع القوى المسيحية المحتلة لبعض المدن المغربية والمتمثلة في الإسبان والبرتغال، أو الوطاسيين المتمسكين بحقهم في حكم البلاد، والعثمانيين الذين حاولوا مراراً ضم المغرب الأقصى إلى حوزتهم كما نجحوا من قبل في ضم جاريه المغربيين الأوسط والأدنى، نقش على العمائر السعدية كثير من الآيات التي تحض على الجهاد في سبيل الله، ومقاتلة الكفار والمنافقين، بما نصه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَانَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمُ وَسِيسَ الْمَصِيرُ﴾^{١٥٦} ومنها ما يبشر بالنصر ويقر أنه من عند الله

الناس الزوايا وأضرحة الأولياء لزيارتها، وخصوصها بالهدايا والندور؛ رغبة في شفاء الأمراض وقضاء الأغراض، واتقاء لغضب الولي وسخطه حيًا كان أو ميتًا. ١٧٠

فيجد أن محمد الشيخ وابنه عبد الله الغالب قد سلكا سبيل الشدة ضد كثير من هؤلاء الصوفية؛ فقد أعدم محمد الشيخ عام (١٥٤٧هـ/١٥٤٧م) أحد عشر من أرباب الزوايا حتى ثار ضده كثيرون منهم، وفي العام التالي قمع ثورة قام بها آيت مالو بضواحي زاوية تمكروت، ١٧١ كما قام المهدي عام (١٥٥٠هـ/١٥٥٠م) بإخلاء زاوية الشيخ عبد الله الكوش التي كان يستقبل فيها الأتباع والمريدين، وطرده من مراكش وحدد إقامته بفاس حتى توفي بها عام (١٥٥٢هـ/١٥٥٢م). ١٧٢

وتعكس الكتابات المنقوشة على شاهد قبر محمد الشيخ الأحداث التي قام بها لتصحيح العقيدة والقضاء على المبتدعة والخارجين على قواعد الدين الحنيف، بما نصه: (فصدع بأمر الله الذي جعله لوقاية الإسلام عصامًا ولشمل الأمة نظامًا ولحماية السنة إلى يوم الدين ملاكًا وقوامًا وصابرًا ﷺ الأهوال واحتسب النفس الزكية في تطهير الأرض من الضلال وحسم داء الشرك العضال فجاهد وغزا واستأصل بسيف الحق من مرق من الدين وانتزى وانتزى إلى غير الحنيفية البيضاء واغتزى حتى أزاح عن الدين العلة وأعاد كمالها الفائق على الملة ملأ الأرض عدلاً وطهرها من أدناس الجور حزنًا وسهلاً وسارت الهداية في الدنيا مسير الشمس واستقر الإسلام على قواعده الخمس). ١٧٣

أما عبد الله الغالب بالله فقد سار على نهج والده؛ إذ أمر في عام (١٥٧٧هـ/١٥٧٧م) بقتل الشيخ محمد الأندلسي بعد أن كثر أتباعه والتفت حوله العامة، ١٧٤ وتشير الكتابات المنقوشة على شاهد قبر عبد الله الغالب إلى مدى تمسكه بالسنة النبوية المطهرة؛ حيث ذكرت أنه توفي: (بعد التزود بالصيام والقيام وشهود ليلة القدر

الرَّجَسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُهُ تَطْهِيرًا، ١٦٦ ﴿رَحِمَتْ اللَّهُ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾، ١٦٧ وهذه الآيات من شأنها دعوة الناس آنذاك إلى التمسك بحكم السعديين والجهاد في صفوفهم، لا سيما أنهم ينتسبون إلى البيت النبوي الشريف.

ب- مجاربة البدع والخرافات

ضربت الزوايا في العصر السعدي - وما بعده - بجذورها في أعماق المجتمع المغربي، وذلك لطبيعة العلاقة التي ربطت هذه الزوايا بالناس من حيث ارتباطها بواقعهم المعيش، وتلبية حاجاتهم المادية والنفسية. والمتأمل لعلاقة الإنسان المغربي بالزاوية الصوفية في ذلك العصر يلاحظ عمق تأصلها في حياته بشكل يتداخل فيه الروحي بالمادي والحقيقة بالأسطورة، والواقع بالخيال، في مجال مقدس مفعم بالحكم والأسرار، يقصده الناس في زيارات موسمية وغير موسمية للتبرك والاستشفاء والاستفسار عن أمور دينية ودنيوية، أو طلب التدخل لفض نزاع بين الأفراد والقبائل. ١٦٨

ونظرًا لما تميزت به الزوايا من استقلال اقتصادي وسيطرة بالغة على جماهير الشعب المغربي، فقد برزت كمؤسسة مزاحمة للسلطة ومنافسة لها، وتزخر المصادر التاريخية بكثير من الإشارات عن الصراع الدائم بين المتصوفة والسلطة التي اعتبرت أن الزاوية تشكل خطرًا على الحكم، إلى جانب امتناعهم عن أداء الضرائب، لذلك لم يتردد بعض السلاطين السعديين في امتحان شيوخ الصوفية، وتشيتيتهم وإخلاء زواياهم، وهم الذين قامت الدولة على أكتافهم، ١٦٩ لا سيما أن بعض متصوفة الزوايا عملوا على تعميق روح الخرافة ونشر البدع بين الناس، بعد أن دب الفساد إلى بعض الزوايا آنذاك، وتحولت عن أهدافها التربوية والإصلاحية والجهادية إلى أهداف مادية، وأصبحت المبالغة في ادعاء الولاية والكرامات الخرافية وسيلة من وسائل الاستغلال والنهب، فقصده

يكون إلا من الله سبحانه وتعالى (لوحة ١)، (شكل ١١)،
ونصها:

”يا من يرى ما في الضمير ويسمع

أنت المعد لكل ما يتوقع

يا من يرجى للشدائد كلها

يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن رزقه في قول كن

أمنن فإن الخير عندك أجمع»^{١٧٨}

وعلى الباب الخشبي لخزانة الكتب التي شيدها
أحمد المنصور خلف جدار قبلة جامع القرويين، على
يسار خزانة المصاحف المرينية التي تقع بدورها على
يسار محراب هذا الجامع، نقش بيتان من قصيدة البردة
الشهيرة للبوصيري يؤكدان على اتباع الرسول الكريم
عليه السلام، والانضواء تحت لوائه، بما نصه:

ومن تكن برسول الله نصرته

إن تلقه الأسدُ في أجامها تجم

من يعتصم بك يا خير الورى شرفا

فالله حافظه من كل منتقم»^{١٧٩}

رابعاً: الأحاديث النبوية

تضمنت النقوش الكتابية السعدية أحاديث نبوية
شريفة وردت للاستشهاد بها وتنويع النصوص الدينية،
ورد بعضها بلفظها أو بلفظ قريب، في حين ورد بعضها
الآخر بمعناها؛ فمن النوع الأول الحديث الذي استهلته
به الكتابات المنقوشة على شاهد قبر لالة مسعودة والددة
أحمد المنصور، والذي يؤكد فضل آل البيت الشريف،
بما نصه: (كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة ما خلا
سببي ونسبي وكل بني أثنى فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا
ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم).^{١٨٠} وفي هذا

المعلوم قدرها بين الليالي والأيام وبإثر سماع ما تضمنه
صحيح البخاري من أحاديث خير الأنام عليه أفضل
الصلاة وأزكى السلام).^{١٧٥}

وفي مقابل ذلك اجتهد الفقهاء وأهل السنة في محاربة
بدع المتصوفة والطرقين، وحذروا الناس من خرافاتهم
الهادفة إلى الاستغلال، كما تصدوا للفرق الضالة والمرتدة
عن الدين، فنبهوا العامة إلى خطرها ودعوا إلى اقتلاع
جذورها؛ ليرجعوا بالدين إلى صفائه، وقد أفردوا كثيراً
من المؤلفات الفقهية التي تطعن في سلوك وممارسات
المتصوفة آنذاك.^{١٧٦}

وتأتي الكتابات المنقوشة على واجهات العمائر
السعدية لتكمل الدور الذي قام به بعض سلاطين هذه
الدولة والفقهاء وأهل السنة في محاربة البدع ومفاسد
الصوفية وخرافاتهم؛ فنجد منها ما يلخص عقيدة الإسلام
القائمة على التوحيد وإفراد الله سبحانه بالعبادة، كسورة
الإخلاص وآية الكرسي، وهما من النصوص الأساسية
التي نقشت بكثرة على واجهات العمائر السعدية كما
سبقت الإشارة (لوحة ٢، شكل ٩).

كما تعددت مضامين الأشعار المنقوشة على واجهات
هذه العمائر أيضاً، وإن كان جميعها قد اتفق على الدعوة
إلى تصحيح العقيدة لدى جمهور المسلمين آنذاك،
ونصحهم للالتزام بالشرعية الإسلامية المطهرة. فنجد أن
الآبيات التي نقشت على بلاطات الزليج التي كُسي بها
الجزء السفلي لدعامات الواجهة الشمالية لصحن مدرسة
ابن يوسف بمراكش، تدعو إلى التوسل إلى الله وحده دون
سواه لقضاء الحاجات (شكل ١٠)، بما نصه:

”توسل إلى الرحمن في السر والجهر

تنل كل ما ترجو من الفضل والخير”^{١٧٧}

ومن هذه الأشعار التي نقشت على الواجهة نفسها،
ما يقر أن كشف الضر والشدائد وطلب سعة الرزق لا

المواعظ شعراً، في حين ورد بعضها الآخر نثرًا، ومنها ما يدعو إلى التوبة من المعاصي، وعدم القنوط من رحمة الله التي وسعت كل شيء؛ كالكتابات التي نقشت على الواجهة الشمالية لصحن مدرسة ابن يوسف بمراكش، ونصها:

”حاشا لجودك أن تقنط عاصياً

الفضل أجزل والمواهب أوسع“^{١٩٠}

وسجلت أشعار أخرى في السياق نفسه على التركيبة التي تعلق قبر السلطان عبد الملك بن زيدان (ت ١٠٣٩هـ/١٦٣١م)، وهي عبارة عن بيتين من بحر البسيط، نصهما:

”لا تقنطن فإن الله منان

وعنده للورى عفو وغفران

إن كان عندك إهمال ومعصية

فعد ربك أفضل وإحسان“^{١٩١}

ومن هذه الأشعار ما يدعو العبد إلى عدم الغرور والركون إلى الدنيا، فالنعيم غير دائم، كما تحث على حسن الظن بالله والثقة في عفوهِ ومغفرته، كالأبيات التي من بحر الطويل، التي نقشت على تركيبة عبد الله الغالب بالله، ونصها على الوجه الشمالي:

أيأزاري هب لي الدعاء ترحما

فإني إلى فضل الدعاء فقير

وقد كان أمر المؤمنين وملكهم

إلى وصيتي في البلاد شهير

فها أن هذا «هكذا» صرت ملقى بحفرة

ولم يُغن عني قائد ووزير

إشارة - كما سبق ذكره - إلى الحديث الذي رواه ابن عساكر عن ابن عمران عن الرسول ﷺ، قال: (كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري).^{١٨١}

أما النوع الثاني فتمثله الكتابات المنقوشة على الوجه الجنوبي لتركيبه عبد الله الغالب بالله، وهي عبارة عن أبيات من الشعر من بحر الطويل، البيت الأخير منها يؤكد حسن الظن بالله، ونصه:

وقد جاء أن الله قال تفضلاً

إلى ما يظن العبد بي سيصير^{١٨٢}

وقد أشار الناظم بهذا إلى ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده عن الرسول ﷺ، قال: قال الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي إن كان خيراً فله، وإن كان شراً فله».^{١٨٣} وعلى القبة الغربية التي شيدها الأمير عبد الله بن محمد المأمون بصحن جامع القرويين بفاس (لوحة ٢٣) - كما سبقت الإشارة - نقشت عبارة نصها: (رحم الله عبداً صنع شيئاً فأنتقنه)،^{١٨٤} وهي دعوة موجهة لإتقان العمل وتجويد الصنعة، ولعل في هذا إشارة إلى الحديث الشريف الذي أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وأبو يعلى الموصلي في مسنده عن الرسول ﷺ، قال: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).^{١٨٥}

خامساً: المواعظ

ورد في النقوش الكتابية المسجلة على واجهات العمائر السعدية وعلى شواهد وتراكيب القبور كثير من المواعظ، وهي ترد مقتبسة من آيات قرآنية، مثل ما نقش على تركيبة الأمير أبي علي منصور بن محمد المهدي الشيخ،^{١٨٦} بما نصه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾﴾،^{١٨٧} ونقش على تركيبة فاطمة بنت أبي بكر ابن محمد بن علي بن ساس (ت ١٠٢٩هـ/١٦٢٠م)،^{١٨٨} ما نصه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴿٥١﴾﴾؛^{١٨٩} كما صيغت بعض

ونصها على الوجه الجنوبي

تزدت حسن الظن بالله راحمي

وزادي بحسن الظن فيه كثير

ومن كان مثلي عالمًا بحنانه

فهو بنيل العفو منه جدير

وقد جاء أن الله قال تفضلاً

إلى ما يظن العبد بي سيصير^{١٩٢}

كما نقشت بكثرة على العمائر السعدية، وبخاصة على واجهات مقبرة السعديين بمراكش،^{١٩٣} عبارة «ولا غالب إلا الله» التي تمثل الشعار السياسي الذي اتخذه ولأول مرة بنو نصر ملوك غرناطة بالأندلس على مسكوكاتهم وعمائرهم وبخاصة قصر الحمراء بغرناطة، وربما كان تكرار تسجيله على مسكوكاتهم وجدران منشآتهم وكذلك راياتهم وتحفهم التطبيقية يعكس شعور النبوة والندير بحدوث المأساة وقرب النهاية، ومن ثم يحمل في معناه الاستنجد والجوء والتضرع إلى الله لحمايتهم، فإذا كانت الغلبة والنصر حليفاً للنصارى في شتى المواقع، فالغالب في النهاية هو الله سبحانه وتعالى والنصر من عنده.^{١٩٤} في حين يعكس تسجيله على العمائر السعدية تأثير مهاجري الأندلس أو المورسكيين - الذين استقروا بالمغرب بعد سقوط غرناطة عام (٨٩٧هـ/١٤٥٢م) - على العمارة والفن السعدي، كما يعكس أيضاً الرضا والتسليم من جانب هؤلاء المورسكيين لقضاء الله تعالى وقدره، فضلاً عن تمسكهم بتقاليدهم الفنية، وربما يكون نوعاً من تعاطف السعديين مع هؤلاء المهاجرين في موطنهم الجديد.

كما تضمنت الكتابات المنقوشة على واجهات العمائر السعدية كالواجهة الشمالية لصحن مدرسة ابن يوسف وواجهة كل من سقاية الحسن وعلي وسقاية

أشرب وشوف بمراكش، عبارات دينية جديدة تدعو أيضاً إلى الرضا والتسليم بقضاء الله وحمده على كل حال، بما نصه: «أحسن ما صرف فيه المقال الحمد لله على كل حال» (الشكلان ٣، ٤)؛ كما نقش على شاهد قبر لالة مسعودة والدة أحمد المنصور ما يدعو إلى التسليم بقضاء الله وأن الأمر كله بيده سبحانه، بما نصه: (فسبحان الملك الحق المبين وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين).^{١٩٥}

سادساً: الصلاة والثناء على النبي عليه السلام

من النصوص التي وردت ضمن الكتابات المنقوشة على واجهات العمائر السعدية وكذلك شواهد وتراكيب القبور، الصلاة والثناء على الرسول عليه الصلاة والسلام، التي يلاحظ أن الصيغ التي وردت بها تختلف عن مثيلاتها التي نقشت على العمائر السابقة على العصر السعدي، فالنموذج الوحيد الذي وصلنا - حتى الآن - من الكتابات الإدريسية،^{١٩٦} استشهد فيها بالآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.^{١٩٧} وفي الكتابات المسجلة على العمائر المرابطية تعددت صيغة الصلاة على النحو التالي: (صلى الله على رسول الله)، (صلى الله على محمد رسوله الكريم أرسله بالهدى بشيراً ونذيراً وعلى آله الطيبين وسلم تسليماً)، (صلى الله على محمد)،^{١٩٨} وجاءت صيغة الصلاة في الكتابات الموحدية، بما نصه: (صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً)،^{١٩٩} وإلى جانب هذه الصيغة الأخيرة^{٢٠٠} تضمنت النقوش الكتابية المرينية صيغاً أخرى للصلاة، مثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾،^{٢٠١} (صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً)،^{٢٠٢} (صلى الله على سيدنا ومولانا محمد)،^{٢٠٣} وغير ذلك بألفاظ قريبة من الصيغ السابقة.

على ذلك من الشاهدين)،^{٢٠٩} وعلى تركيبة عليّة والدة أحد سلاطين الدولة السعدية، نقش بعد الآيات القرآنية: (صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين).^{٢١٠}

سابعاً: نقوش الأدعية

تعد الأدعية من النصوص الدينية التي وردت بالنقوش الكتابية المسجلة على واجهات العماثر وشواهد وتراكيب القبور السعدية، وهي ترد إما مقتبسة من آيات قرآنية مثل: ﴿عَفْرَانَا رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾،^{٢١١} ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾،^{٢١٢} ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(١١٣) ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾؛^{٢١٣} وإما ترد في صيغ أدعية مأثورة، مثل ما نقش على تيجان الأعمدة الرخامية ببيت الصلاة بمدرسة ابن يوسف بمراكش التي شيدها عبد الله الغالب بالله: (النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أمير المؤمنين أبوا (هكذا) محمد عبد الله بن مولانا أمير المؤمنين مولانا أبوا (هكذا) عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسيني أيد الله أمره بمنه)،^{٢١٤} وفي الكتابات المسجلة على عنزة جامع المواسين بمراكش الذي شيده الغالب أيضاً، نقش: (أيده الله) (شكل ٨)،^{٢١٥} كما نقش على شاهد قبر هذا السلطان أيضاً: (رحم الله السلف وبارك في الخلف) (شكل ١٢)،^{٢١٦} ونقش على الباب الخشبي الذي يغلق على مدخل قاعة المحراب بقبور السعديين بمراكش: (النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا الإمام أبي العباس أحمد المنصور بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الحسيني أيد الله)،^{٢١٧} ونقش على شاهد قبر لالة مسعودة والدة أحمد المنصور: (قدس الله

وفي عصر السعديين تكشف الكتابات المنقوشة على واجهات عمائرهم وشواهد وتراكيب قبورهم، عن اختلاف صيغة الصلاة عن مثيلاتها السابق ذكرها في الفترات السابقة على العصر السعدي إلى حد كبير؛ فقد نقشت على الواجهة الشرقية لصحن مدرسة ابن يوسف بمراكش، بما نصه: (صلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه وبنيه وآل بيته أفضل الصلاة وأزكى التسليم)^{٢٠٤} (لوحة ١٢)، وعلى الجدار الجنوبي للقاعة المستطيلة بالمبنى الشرقي لقبور السعديين، سجلت على هذا النحو: (صلى الله وملائكته على سيدنا ونبينا ومولانا محمد النبي المصطفى الأمين وعلى آله وأزواجه وذريته الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين)،^{٢٠٥} ونصها على شاهد قبر لالة مسعودة والدة أحمد المنصور: (صلى الله أولاً وآخرًا على سيدنا ومولانا محمد وآله وأزواجه وذريته وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين)،^{٢٠٦} ونصها على تركيبة الأمير أبي علي منصور بن محمد الشيخ (ت ٩٧٧هـ/١٥٦٩م)، (صلى الله على سيدنا محمد وآله خير آل).^{٢٠٧} ويمكن تفسير هذا الاختلاف بحرص السعديين في كل مناسبة وكل موضع على تأكيد نسبهم الشريف، واتصالهم بالنبي ﷺ؛ فهم الأشراف من ذرية الحسن بن فاطمة بنت محمد ﷺ.

كما تضمنت الكتابات المنقوشة على واجهات العماثر وشواهد وتراكيب القبور السعدية، الصلاة والثناء على الرسول ﷺ في نهاية الآيات القرآنية، وذلك بعد عبارة صدق الله العظيم، مثل ما نقش أعلى المدخل الأوسط للقاعة المستطيلة بالمبنى الشرقي لقبور السعديين، بما نصه: (صدق الله العظيم وبلغ رسوله المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم)،^{٢٠٨} وعلى الجدار الغربي للقاعة ذات الاثني عشر عمودًا بالمبنى الغربي لقبور السعديين أيضاً، ما نصه: (صدق الله العظيم وبلغ رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم ونحن

نفسها وطيب بأنفاس المغفرة والرجى رمسها)،^{٢١٨} وكما جاء على تركيبة السلطان عبد الملك بن زيدان: (اللهم قدرك (هكذا) على كل شيء اغفر له كل شيء ولا تسأله عن شيء يا رب العالمين)، ونقش على التركيبة نفسها: (أسكنهم الله دار السلام مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين)،^{٢١٩} وجاء على تركيبة مريم بنت السلطان محمد الشيخ الأصغر بن زيدان: (تعمد الله الجميع برحمته)، كما وردت بعض الأدعية في صيغة أشعار، مثل الأبيات التي من بحر البسيط، التي نقشت على الوجه الجنوبي لتركيبه محمد المهدي الشيخ:

يا رحمة الله عايطه سلاف رضى

تدور منها عليه الدهر كاسات^{٢٢٠}

وجاء على العتب الخشبي المتوج لفتحة المدخل الرئيس لمدرسة ابن يوسف بمراكش التي شيدها عبد الله الغالب، أبيات شعرية من بحر البسيط (لوحه ١٩)، نصها:

أقامني للعلوم والصلاة أمير

المؤمنين وسبط خاتم الرسل

أسمى الخلائق عبد الله فادع له

يا داخلي ببلوغ منتهى الأمل^{٢٢١}

وعلى تركيبة عبد الله الغالب حث الناظم زائر الضريح بالدعاء والترحم على صاحبه، وذلك بأبيات شعرية من بحر الطويل، بما نصه:

أيا زائري هب لي من الدعاء ترحمًا

فإني إلى فضل الدعاء فقير^{٢٢٢}

وعلى الوجه الشمالي لتركيبه أحمد المنصور نقشت أبيات من الشعر من بحر الرجز، نصها:

يا رحمة الله أسرعي

بكل نعمى تستمر

وباكر الرسم بما

ء من رضاه منهمر

وطيبي ثراه من

ند كذكره العطر^{٢٢٣}

ونقش على تركيبة عليّة والدّة أحد السلاطين السعديين أبيات من الشعر من بحر مجزوء الرمل، نصها:

رحمة الرحمن سحي

بضريح لعليه

وانعشها بشذاك

في بكور وعشيه

وانزليها بدراك (هكذا)

وامنحي كل عطيه^{٢٢٤}

وجاء على تركيبة فاطمة الزهراء بنت السلطان محمد الشيخ الثالث بن زيدان أبيات من الشعر من بحر الرجز، بما نصه:

يا رحمة الرحمن سحي دائماً

على ضريح من مغاني القدس^{٢٢٥}

ثامناً: نقوش الأذكار والتسابيح

يلاحظ على هذه العبارات التي نقشت على العمائر السعدية أنها اختيرت اختياراً مدروساً، مرتباً بأحداث العصر؛ حيث انصبت على تأكيد عقيدة التوحيد الإسلامية وإفراد الله سبحانه بالعبادة والشكر والثناء عليه بما هو أهله، وتعظيم قدر رسوله محمد ﷺ، والصبر والرضا بما قدره الله.

ومن هذه العبارات «العز لله» وهي عبارة تشير إلى أن القوة والغلبة لله سبحانه وتعالى، و«الحمد لله» وتتضمن

وغير ذلك من الخلال الكريمة، وهي دعوة - أيضاً - إلى رعاياهم بالتحلي بهذه الأخلاق الحميدة، فقد لقب محمد المهدي الشيخ بـ«كهف الأنام»،^{٢٢٨} ونعت عبد الله الغالب بـ«إمام السجادة والمحراب»، و«صاحب الصدقات والأوراد» و«الصدر المشروح»، و«الوفر الممنوح»، و«الثبات والأناة» و«الإغضاء عن الهنات»، و«الصفح عن الجناة»، و«العلامة»، و«ملاذ الأرامل واليتامى»، فضلاً عن الألقاب التي تشير إلى اهتمام بعض هؤلاء السلاطين بالبناء والتعمير، فقد لقب عبد الله الغالب أيضاً بـ«باني المساجد والمدارس»، و«ذي العزائم الماضية والآثار الباقية»^{٢٢٩} (شكل ١٢)، ونعت لالة مسعودة زوجة السلطان محمد المهدي وأم ابنه أحمد المنصور بأنها «المتقربة إلى الله بحسن الآثار التي منها الجسران والمسجد الجامع»^{٢٣٠}.

ومن الألقاب التي تكشف عن السمات الأخلاقية التي كانت تتمتع بها لالة مسعودة السابق ذكرها أيضاً «الطاهرة»، و«القانتة»، و«الناسكة»، و«الصالحة»، و«الصوامة»، و«القوامة»، و«العابدة»، و«الأوبة»، و«أم الحسنات»، و«كاشفة الكرب المزمونات»، و«ثمال اليتامى»، و«ملاذ الأرامل والأيامى»، و«كافلة البنات والبنين»^{٢٣١}.

كما تضمنت هذه الكتابات ألقاباً تؤكد انتماء السلاطين السعديين إلى النسب النبوي الشريف مثل: «سبط خاتم الرسل»، و«الشريف الحسني»، و«ابن الشرف الفاطمي»، وغيرها كما سبقت الإشارة.

عاشراً: نقوش الوصف والمدح والفخر

شكل موضوع الوصف والمدح والفخر جانباً مهماً في الكتابات المنقوشة على واجهات العمائر السعدية، وهي ترد - غالباً - في صيغة أشعار تصف المنشأة وتمدحها، ثم يأتي بعد ذلك الفخر على غيرها من

هذه العبارة كل معاني الحمد والثناء الجميل على الله، وعبارة «لا إله إلا الله» التي تشير إلى وحدانية الله سبحانه، و«الملك لله» (شكل ٧) وهي عبارة تشير إلى أن الملك لله يتصرف فيه كيف يشاء يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء، وعبارة «الشكر لله» التي تحض على ضرورة شكر الله على نعمه فهو سبحانه المستحق الحمد، و«البقاء لله» وهي عبارة تقرر أن الخلود والدوام لله سبحانه، والزوال والفناء لسائر مخلوقاته.

وعبارة «سبحان الله الملك الحق المبين» وهي ذات معنى أخلاقي كبير؛ إذ تبدأ بتنزيه الله سبحانه ثم تقرر أن القوة والتدبير والسلطان في جميع الأمور لله وحده سبحانه وتعالى، و«لا قوة إلا بالله ما شاء الله العظيم» وتوضح هذه العبارة أن القوة والتأييد من الله سبحانه وتعالى وحده عظمت قدرته.

تاسعاً: ألقاب السلاطين السعديين

سجلت الكتابات المنقوشة على العمائر السعدية ألقاباً فخرية تعكس أحداثاً تاريخية وأعمالاً قام بها السلاطين السعديون، فقد نعت محمد المهدي الشيخ بـ«ناصر الإسلام»، و«مذل عبدة الأصنام»، و«الضارب في ذات الله بالسنان والحسام»^{٢٢٦} ولقب ابنه عبد الله الغالب بالله بـ«ناصر الدين»، و«المجاهد في سبيل رب العالمين»، و«ليث الهياج والضراب»، و«صاحب... العناية بالغزو والجهاد»^{٢٢٧} (شكل ١٢)؛ حيث كان الجهاد وطرد المحتل البرتغالي والإسباني من الثغور المغربية هو الركيزة الأساسية لقيام دولتهم كما سبقت الإشارة.

كما سجل على العمائر السعدية كثير من الألقاب التي تكشف عن السمات الأخلاقية التي كان يتمتع بها السلاطين السعديون، من تدين وخشية من الله وعدل وعلم وشجاعة وسخاء وصفح وتجاوز عن المخطفين

المنشآت. ولأن عظمة هذه المنشآت من عظمة منشئها؛ تضمنت هذه الأشعار مدحاً للسلطين الذين شيّدوا هذه المنشآت، يحمل في مضمونه وصف هؤلاء السلطين بصفات القوة والنصر والتدين والعدل والكرم؛ لتظل هذه الكتابات شاهداً على مناقب هؤلاء السلطين بوصفها وسيلة إعلامية إخبارية تستمر ماثلة للعيان، فهي ليست موضوعاً لمناسبة عابرة أو لتظل حبيسة الأوراق يعتربها غبار الزمن وربما لا تخرج إلى النور.^{٢٣٢}

والواقع أن هذه الظاهرة لم تكن وليدة العصر السعدي، فقد ازدهرت من قبل في عصر بني الأحمر بغرناطة؛ إذ نقش عدد من قصائد ابن الجياب (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) على جدران قصر جنة العريف، كما نقش كثير من قصائد ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٦ م) وتلميذه ابن زمرك (ت ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م) على واجهات قصر الحمراء، وقد احتل غرض الوصف والمدح النصيب الأكبر بين مضامين هذه النقوش.^{٢٣٣}

وفي المغرب الأقصى ازدهرت هذه الظاهرة - في ظل النماذج الباقية - في العصر المريني، وربما كان ذلك من مظاهر غلبة الفن الغرناطي (الأندلسي المتأخر) على الفن المريني منذ (أوائل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)؛ وذلك انعكاساً للعلاقات الوطيدة التي كانت تربط المرينيين ببني الأحمر في غرناطة، فضلاً عن تدفق هجرات الأندلسيين إلى المغرب المريني في إثر تساقط المدن الأندلسية، نتيجة للتعاظم المستمر للقوات المسيحية، وتراجع القوات الأندلسية أمامها ولم يتبق في النهاية إلا غرناطة التي سقطت هي الأخرى بدورها عام (٨٩٧ هـ / ١٤٥٣ م).^{٢٣٤}

فقد نقشت على واجهات المدارس المرينية وعلى تيجان بعض أعمدتها الرخامية، كمدرسة العطارين بفاس القديمة، والمدرسة الجديدة بمكناس المعروفة خطأً بالبوغناية، ومدرسة أبي الحسن بسلا، والمدرسة

البوغناية بفاس القديمة، أبيات من الشعر تركزت - أيضاً كما هو الحال بقصور الحمراء بغرناطة - على غرضي الوصف والمدح لهذه المدارس ومنشئها.^{٢٣٥} ويبدو واضحاً أن ظهور غرضي الوصف والمدح بين مضامين الكتابات المنقوشة على واجهات العمائر بالمغرب والأندلس، بدأ في الظهور بعد أن استخدمت الأشعار في تزيين واجهات هذه العمائر، التي يرجع أول نماذجها القائمة بالمغرب الأقصى إلى العصر المريني؛ إذ لم يعثر حتى الآن على نماذج لأشعار منقوشة على العمائر من عصري المرابطين والموحدين، في حين توجد شواهد منها بالأندلس ترجع إلى القرن (الرابع الهجري / العاشر الميلادي).^{٢٣٦}

وعلى أية حال، فقد شاع نقش الأشعار على العمائر السعدية الدينية منها والمدنية، ولو قدر لقصر البديع أن يصل إلينا بحالة جيدة - كما سبقت الإشارة - لقدم لنا كثيراً من الأشعار المتنوعة في مضامينها والتي نظمها كبار شعراء وأدباء العصر السعدي، وتبقى النماذج التي دونها كل من الفشتالي والمقري والإفراني في مؤلفاتهم الدليل الوحيد على ذلك.^{٢٣٧} ورغم ذلك تحتفظ مدرسة ابن يوسف بمراكش ومقبرة السعديين بالمدينة نفسها وكل من القبتين الشرقية والغربية بصحن جامع القرويين بنماذج جيدة من هذه الأشعار؛ فعلى العقدين الغربي والشرقي للسباط الذي يربط المدرسة الغالبية المعروفة بمدرسة ابن يوسف بجامع ابن يوسف المقابل لها، نقشت أبيات من الشعر على تربيعات من الزليج (لوحة ١٨)، نصها على العقد الغربي:

تبارك الله هذا منزل سبقت

له الكرامة قبل الكون في الأزل

بني في أسعد وقت وانتما حسن

فالحمد لله حمداً غير منفصل

كما نقش على الأعتاب الخشبية المطنفة بالواجهة الجنوبية لصحن هذه المدرسة أيضاً أبيات من الشعر، تبدأ من الطرف الغربي لهذه الواجهة (لوحة ١٢)، بما نصه:

متى تلج بي فجلُّ بالطرف وانصرف
نحو القباب تحط بالسر من عمل
بدر وشمس لعلا

زخرفني فخر السلاطين وسبط خاتم الرسل
فقت قباب إزائي مذ بدا شرفي
وجلَّ قدري ونوري لاح للقبل
إذا دنت للغروب الشمس أشرق بي
نور العلوم وبان الفجر من قبلي
بمن بدت لعباد الله دولته

أسراره في دهور الغيب لم تنل^{٢٤١}

وعلى الواجهات الثلاث للقبعة الشرقية بصحن جامع القرويين التي شيدها أحمد المنصور، نقشت - كما سبقت الإشارة - أبيات من الشعر، نصها على الواجهة الجنوبية:

حُسن سنا منظري يستوقف النظرا
وفائق الصنع مني طرَّز الطررا
حباب ماء من الدر النثير غدا
صوب وردى من ذوب اللجين جرى
ونصها على الواجهة الشرقية:
انظر إلى صنعي البديع الرائق
متأملاً في منظري الفائق
وارشف حباب زلالي الفائق
كالدر إذ يبدو

ونصها على العقد الشرقي:

سَمَوْتُ بحسني في سماء سناء
وفُقتُ قباباً شيدت بفناء
بهندسة أملا حكيم رسومها

سطوراً ترى للرامقين ثناء
فحزت من الوشي المنوط بزخرفي
معان تكل الناظرين إزاء
حويت من الحسن المصوغ لزينتي
سواراً وسمطي حليتي ورداء^{٢٣٨}

ويحمل السقف الخشبي لدهليز هذه المدرسة ثمانية عقود خشبية مطنفة، نقش على العتب الأخير من الطرف الشمالي الغربي بيت من الشعر، نصه:

مَتَّع جفونك في الحسن البديع ترا

سرّاً عجيباً يزيل البث والفكرا^{٢٣٩}

وعلى الواجهة الغربية لهذه المدرسة أيضاً نقشت أبيات من الشعر على بلاطات من الزليج، نصها:

ألا هكذا يبني المدارس من بنى
ومن يتعالى في الثواب وفي الثناء
لقد ظهرت للطاهر الملك همة
بها اليوم في الدارين قد بلغ المنا
تجمع فيها من كل حسن يعرف
فراقت قلوب الأنام وأعيننا
لا بأس بالغالي إذا قيل حسن
ليس لما قررت به العين ثمن
لقد بنيت بالسرور من بعد ما كان
الزمان^{٢٤٠}

لا ينثني راشف ثغري من ظمأ

إلا ويحمد مني الورد والصدرا

من أمّ قربي بفرض أو بنافلة

يجد معيني معيناً للطهور سرا^{٢٤٢}

ونصها على الواجحة الشمالية:

ابن نبي الهدى المنصور أبدعني

من فيض نعماه ما بين الورى انتشرا

فعال بره لا يحصى تعددها

خبر آثاره يصدق الخبر^{٢٤٣}

كما نقشت أبيات من الشعر على الواجحات الثلاث
الخارجية للقبة الغربية بصحن جامع القرويين أيضاً، التي
شيدها - كما سبقت الإشارة - الأمير عبد الله بن محمد
الشيخ المأمون بن أحمد المنصور، نصها على الواجحة
الشمالية:

بدائعي نسخت لما تلت سورا

من الجمال الذي أبدا بها صوراً

آيات تلك التي قالت مصرحة

حسن سنا منظري يستوقف النظرا

ونصها على الواجحة الغربية:

فحقها أن تحط الرأس صاغرة

والكوثر العذب من ماء المعين جرى

ولي فخار عليها بانتسابي إلى

عبد الإله الذي كل الورى برا

ونصها على الواجحة الجنوبية:

ابن الإمام الرضى المأمون من عظمت

وسادت بالعلام مضرا

في عام (زهو) بعيد الألف به قريش

لهجرة من دنا من ربه وسرى^{٢٤٤}

وبدائر هذه القبة من الداخل نقشت هذه الأبيات:

يا واقفاً سره صنعي وتصويري

حسن سناي بديع غير منكور

يا من ترشف عذب الماء من ظمأ

عليك أقسمت بالأحزاب والنور

تدعو بنصر لمن لاحت محاسنه

على الدنا كهلال فوق ديجور

خليفة الله من في النبوءة قد

علت به همة بالنصر مغمور

هو الإمام الذي حاز منزلة

عند الإله بدار الخلد والهور

أبو محمد عبد الله أفضل من

حلاه ربي بسجف الحسن والنور

من لا يزال وعين الله تكلؤه

من شر ما يتقى وكل محذور

فأخلص له دعوة تمحو إساءته

بجاه أم القرى والبيت والطور^{٢٤٥}

هكذا، تكشف الكتابات المنقوشة على العمائر
السعدية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة وعبارات
دعائية ودينية وأشعار، أنها كانت تسيّر جنباً إلى جنب مع
الفتاوى والمؤلفات الفقهية في التصدي لعلاج أهم القضايا
التي كانت تسيطر على الأحداث في العصر السعدي،
وهي: الجهاد ضد المحتل ومقاومة مظاهر التبشير والردة
عن الإسلام التي صاحبت الاحتلال البرتغالي لبعض المدن

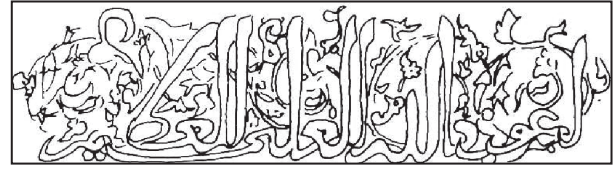
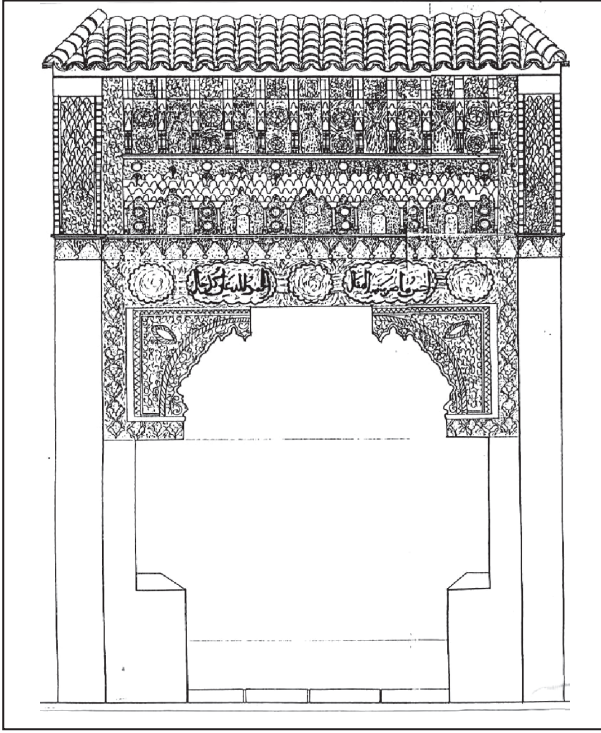
المساجد الجامعة والمدارس والزوايا والسقايات، وهي منشآت عامة الارتفاق لجميع المسلمين، كما زاد الاهتمام بحسن عرض هذه الكتابات؛ لتسهيل قراءتها وتحقيق أكبر فائدة مرجوة منها، بوصفها وسيلة اتصال مهمة بالجمهور في ذلك الوقت.

وتبقى الإشارة إلى أن توظيف الكتابات المنقوشة على الآثار الإسلامية كوسيلة إخبارية إعلامية في العصر السعودي، يكشف عن أهمية هذه الكتابات من جهة، وعن تنوع أساليب الاتصال بالجمهور في وقت كانت فيه وسائل الإعلام قليلة ومحدودة من جهة أخرى؛ إذ كانت تقتصر - كما سبقت الإشارة - على الخطابة والدروس العلمية في المساجد والمدارس، والمؤلفات العلمية التي لم تكن منتشرة بالقدر الكافي لقلة عدد نسخها وارتفاع تكلفتها آنذاك، والتي ربما تظل حبيسة المكتبات العامة أو الخاصة ولا يراها ولا يطلع عليها الجمهور.

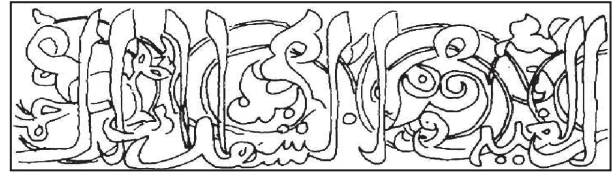
المغربية، إلى جانب الإصلاح الاجتماعي ومحاربة البدع والانحراف عن الشريعة المطهرة والشعوذة التي روج لها بعض متصوفة الزوايا آنذاك؛ مما يشير إلى أن هذه الكتابات لم تكن في معزل عن أحداث العصر؛ ومن ثم تظهر أهميتها كمصدر مهم من المصادر التي تكشف عن مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في العصر السعودي، لاسيما أن محتواها يحمل معطيات لها قيمة إخبارية وإعلامية.

كذلك تكشف مضامين هذه الكتابات عن تدين الأشراف السعوديين وصحة عقيدتهم، وجهاد المحتل المسيحي بالسلاح والكلمة، وحرصهم على محاربة البدع والانحراف عن الدين، ونشر العقيدة الإسلامية الصحيحة وفق الرسالة المحمدية، وتوضيح تعاليم الإسلام لرعاياهم، ونصحهم وإرشادهم بشتى الطرق والوسائل المتاحة آنذاك.

ومن هذا المنطلق نقشت هذه النصوص المختارة في أماكن واضحة على واجهات عمائرهم، وبخاصة



(شكل ١) شكل توضيحي للكتابات المنفذة بالخط الثلث بمدرسة ابن يوسف بمراكش، عن محمد خصيف، مدرسة ابن يوسف، ص ٥٤.



(شكل ٢) شكل توضيحي للكتابات المنفذة بالخط الثلث بمدرسة ابن يوسف بمراكش، عن محمد خصيف، مدرسة ابن يوسف، ص ٥٥.



(شكل ٤) شكل توضيحي للكتابات المنفذة بالخط الثلث بسقاية اشرب وشوف بمراكش، عن مفتشية المباني التاريخية بمراكش.



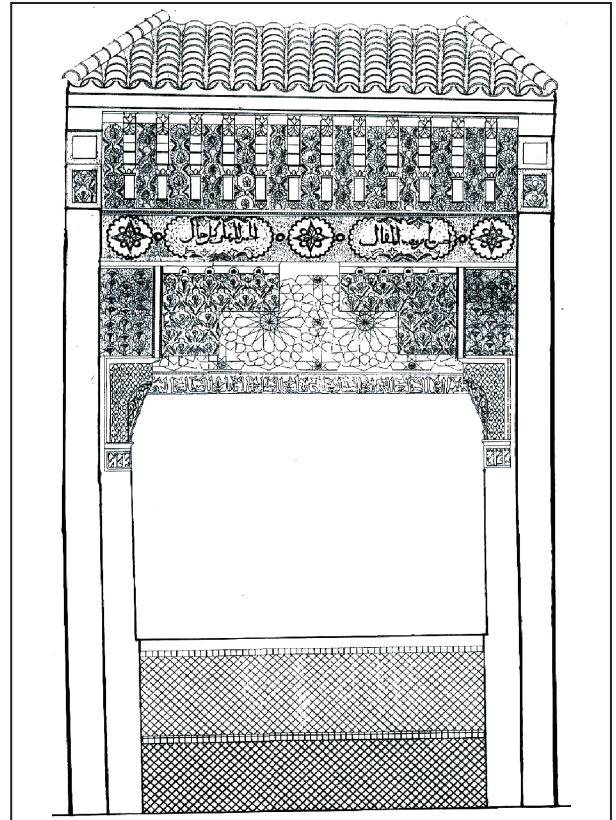
(شكل ٥) شكل توضيحي للكتابات المنفذة بالخط الثلث بمقبرة السعديين بمراكش، عن

G. Rousseau, *Le Mausolée des princes sa'diens*, pl LXXXIX.

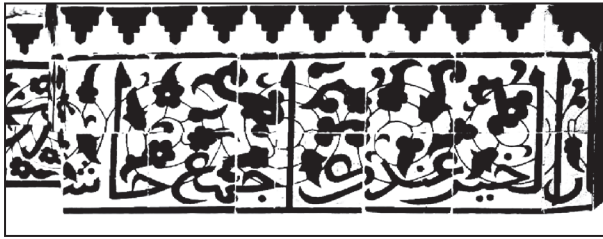


(شكل ٦) شكل توضيحي للكتابات المنفذة بالخط الثلث بمقبرة السعديين بمراكش، عن

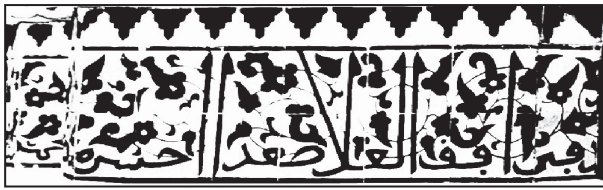
G. Rousseau, *Le Mausolée des princes sa'diens*, pl LXIII.



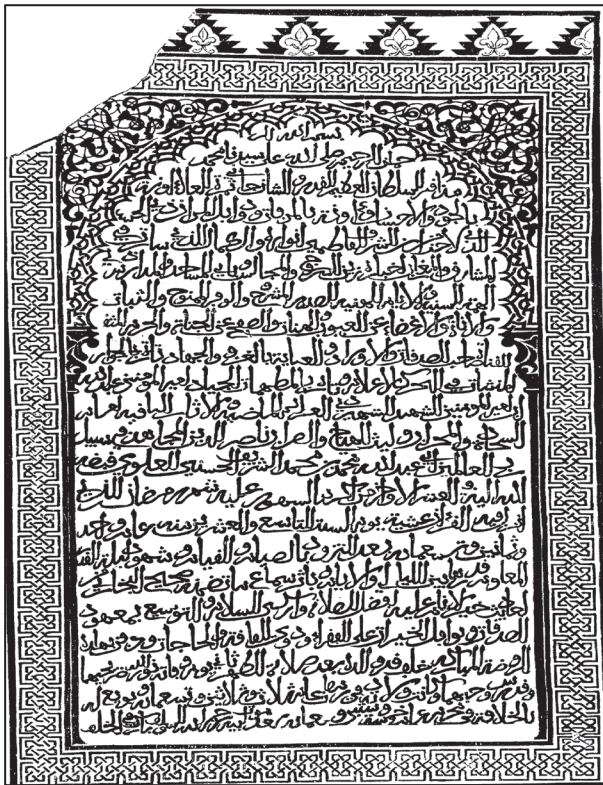
(شكل ٣) شكل توضيحي للكتابات المنفذة بالخط الثلث بسقاية (الحسن وعلي) بمراكش، عن مفتشية المباني التاريخية بمراكش.



(شكل ١٠) شكل توضيحي للكتابات المنفذة على الزليج بمدرسة ابن يوسف بمراكش، عمل الباحث.

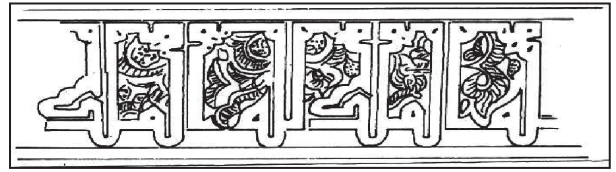


(شكل ١١) شكل توضيحي للكتابات المنفذة على الزليج بمدرسة ابن يوسف بمراكش، عمل الباحث.



(شكل ١٢) شكل توضيحي للكتابات المنفذة على شاهد قبر عبد الله الغالب بالله بقبور السعديين بمراكش، عن

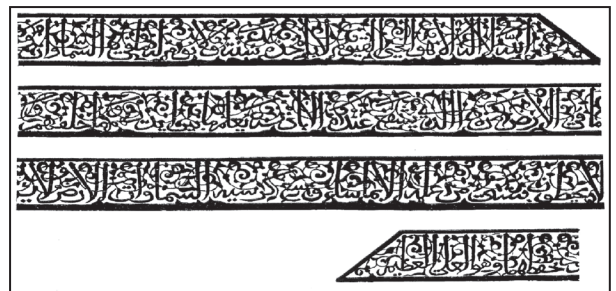
G. Rousseau, *Le Mausolée des princes sa'diens*, pl LXXXII.



(شكل ٧) شكل توضيحي للكتابات المنفذة بالخط الكوفي المضفر بمدرسة ابن يوسف بمراكش، عن محمد خصيف، مدرسة ابن يوسف، ص ٥٥.



(شكل ٨) شكل توضيحي للكتابات المنفذة على عنزة جامع المواسين بمراكش، عمل الباحث.

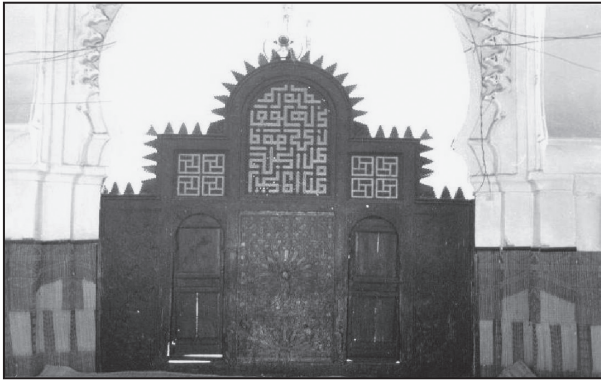


(شكل ٩) شكل توضيحي للكتابات المنفذة بالخط الثلث بمقبرة السعديين بمراكش، عن

G. Rousseau, *Le Mausolée des princes sa'diens*, pl LXIV.



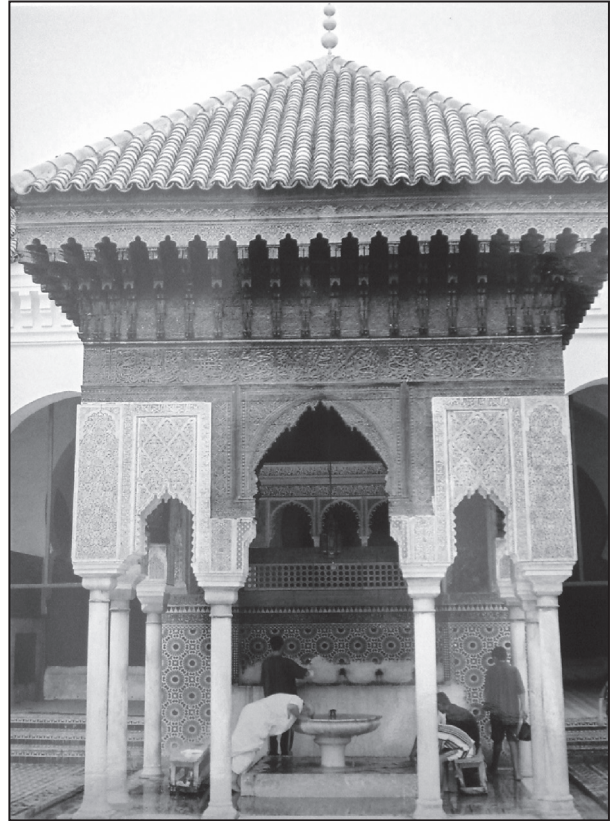
(لوحة ٣) الكتابات المنفذة بالخط الثلث على الزليج والجص بمدرسة ابن يوسف بمراكش، تصوير الباحث.



(لوحة ٤) الكتابات المنفذة بالخط الكوفي على الخشب بجامع الموساسين بمراكش، تصوير الباحث.



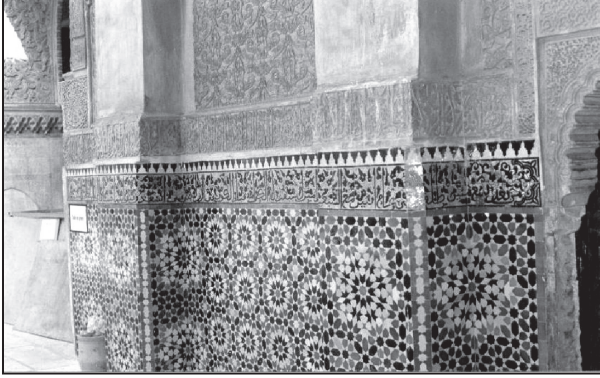
(لوحة ٥) الكتابات المنفذة بالخط الكوفي على الخشب بمدرسة ابن يوسف بمراكش، تصوير الباحث.



(لوحة ١) القبة الشرقية بصحن جامع القرويين بمدينة فاس، تصوير الباحث.



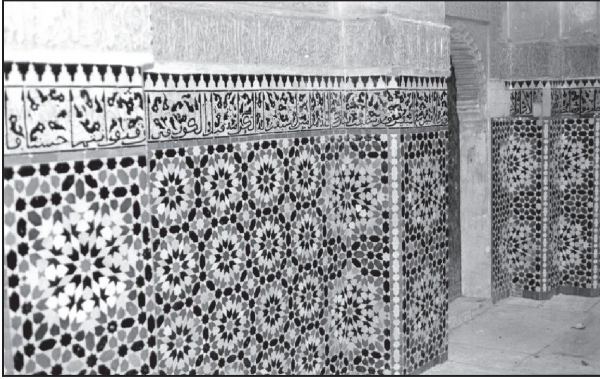
(لوحة ٢) الكتابات المنفذة بالخط الثلث على الزليج بمدرسة ابن يوسف بمراكش، تصوير الباحث.



(لوحة ٩) الكتابات المنفذة بالخط الثلث على الزليج بمدرسة ابن يوسف بمراكش، تصوير الباحث.



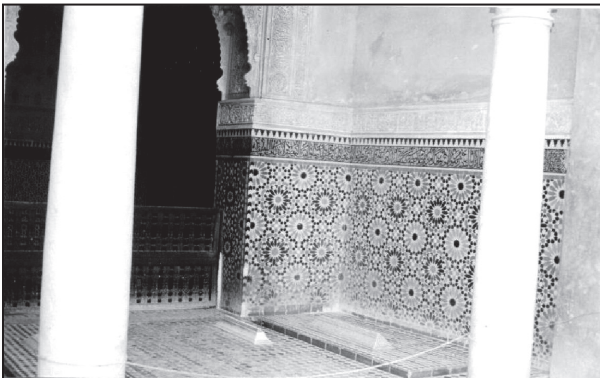
(لوحة ٦) الكتابات المنفذة بالخط الثلث على الخشب بمقبرة السعديين بمراكش، تصوير الباحث.



(لوحة ١٠) الكتابات المنفذة بالخط الثلث على الزليج بمدرسة ابن يوسف بمراكش، تصوير الباحث.



(لوحة ٧) الكتابات المنفذة بالخط الكوفي على الجص بجامع باب دكالة بمراكش، تصوير الباحث.



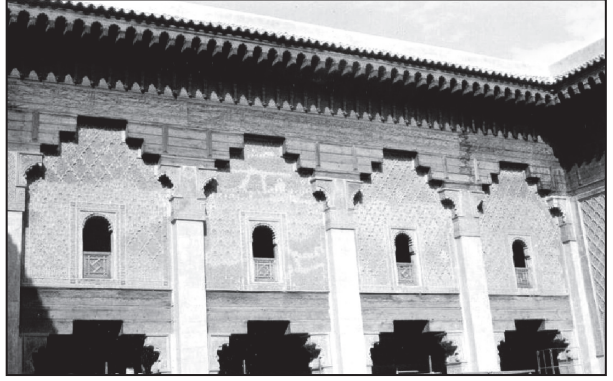
(لوحة ١١) الكتابات المنفذة بالخط الثلث على الزليج بمقبرة السعديين بمراكش، تصوير الباحث.



(لوحة ٨) الكتابات المنفذة بالخط الكوفي على الجص بجامع الموسيين بمراكش، تصوير الباحث.



(لوحة ١٥) الكتابات المنفذة بالخط الثلث على الخشب بسقاية (الحسن وعلي) بمراكش، تصوير الباحث .



(لوحة ١٢) الكتابات المنفذة بالخط الثلث على الخشب بمدرسة ابن يوسف بمراكش، تصوير الباحث.



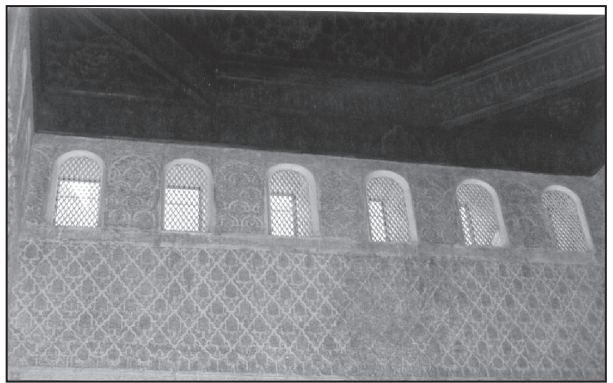
(لوحة ١٦) الكتابات المنفذة بالخط الثلث على الخشب بسقاية جامع الموسمين بمراكش، تصوير الباحث .



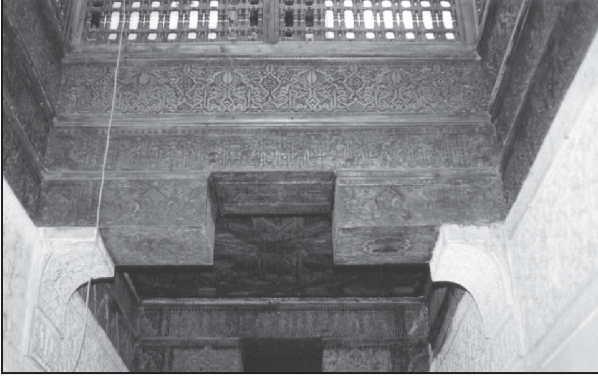
(لوحة ١٣) نوافذ الجزء العلوي لجدار القبلة بالجامع الكبير بتارودنت، تصوير الباحث.



(لوحة ١٧) الكتابات المنفذة بالخط الثلث على الخشب بسقاية (اشرب وشوف) بمراكش، تصوير الباحث .



(لوحة ١٤) نوافذ الجزء العلوي لجدار القبلة بمدرسة ابن يوسف بمراكش، تصوير الباحث.



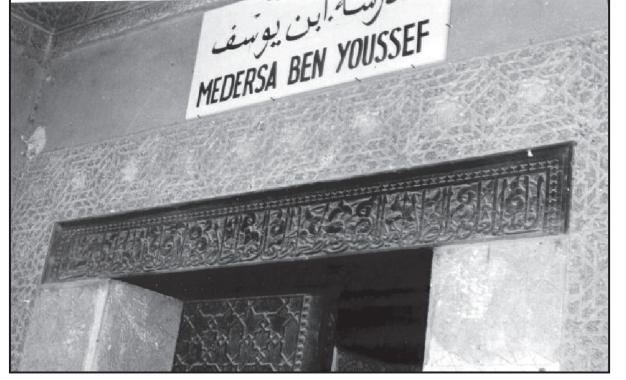
(لوحة ٢١) الكتابات المنفذة بالخط الكوفي على الخشب بمدرسة ابن يوسف بمراكش، تصوير الباحث.



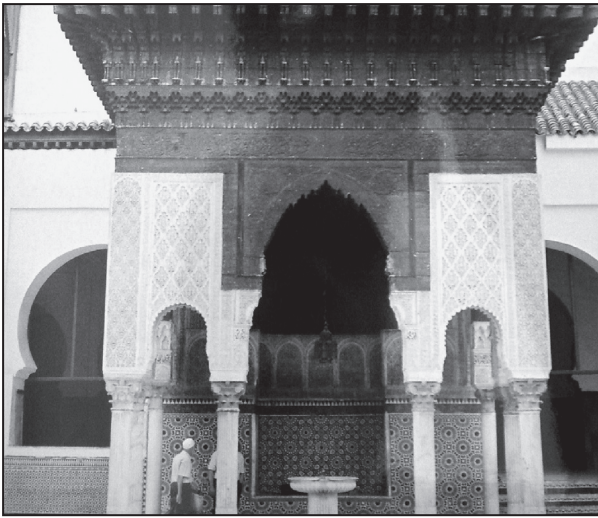
(لوحة ١٨) الكتابات المنفذة بالخط الثلث على الزليج بالواجهة الخارجية لمدرسة ابن يوسف بمراكش، تصوير الباحث.



(لوحة ٢٢) الكتابات المنفذة بالخط الثلث على الرخام بجامع الموسمين بمراكش، تصوير الباحث.



(لوحة ١٩) الكتابات المنفذة بالخط الثلث على العتب الخشبي الذي يعلو مدخل مدرسة ابن يوسف بمراكش، تصوير الباحث.



(لوحة ٢٣) القبة الغربية بصحن جامع القرويين بمدينة فاس، تصوير الباحث.



(لوحة ٢٠) الكتابات المنفذة بالخط الكوفي والثلث على الخشب والجص بالعقد الأوسط ببائكة رواق القبلة المطلة على الصحن بجامع الموسمين بمراكش، تصوير الباحث.

الهوامش

- * أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية المساعد، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة أسبوط.
- ١ محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج ١ (الدار البيضاء، ١٩٧٨)، ٤٠؛ عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية - دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية (الدار البيضاء، ١٩٧٨)، ١٣-١٨؛ إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي (الدار البيضاء، ١٩٨٧)، ٢٦-٢٧.
- ٢ عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ٢٣؛ عمر عسران أحمد طه، دولة الأشراف السعديين في مراكش (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٨١ م)، ٩.
- ٣ الإفرائي (محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله المراكشي، توفي بعد ١١٥٧ هـ / ١٧٤٥ م)، زهدة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق عبد اللطيف الشاذلي (الدار البيضاء، ١٩٩٨ م)، ٤٠-٤٥؛ الناصري (أحمد بن خالد السلوي، ت: ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج ٥ (الدار البيضاء، ١٩٥٤ م)، ٧-٨؛ محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب، ج ١، ٤٢-٤٣؛ عمر عسران، دولة الأشراف السعديين، ٤٩-٥١.
- ٤ مارمول (كريخال، ألف كتابه بعد عام ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م)، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرين، ج ٢ (الرباط، ١٩٨٨-١٩٨٩ م)، ٢٨، ٨٥-٨٦؛ الإفرائي، زهدة الحادي، ٥٠، ٥٤، ٨٢؛ عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ٤٦-٤٧، ٧٢.
- ٥ عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ٧٠-٧١.
- ٦ مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمдарتية، تحقيق عبد الرحيم بنحادة (مراكش، ١٩٩٤ م)، ٥٨-٦١؛ الفشتالي (عبد العزيز بن محمد، ت: ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م)، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، تحقيق عبد الكريم كريم (الرباط، ٢٠٠٥ م)، ٢٧.
- ٧ الفشتالي، مناهل الصفا، ١١٧-١٣١؛ الإفرائي، زهدة الحادي، ١٥٩-١٦٠؛ إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع، ٨٥-٨٦.
- ٨ عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ١٤٤.
- ٩ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين - دراسة آثرية معمارية (القاهرة، ٢٠٠٨ م)، ١٢٣-٢٢٧.
- ١٠ محمد عبد الستار عثمان، دلالات سياسية دعائية للآثار الإسلامية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، مجلة العصور، المجلد الرابع، ج ١ (لندن، ١٩٨٩ م)، ٣٤.
- ١١ محمد عبد الستار عثمان، دلالات سياسية دعائية، ٣٥.
- ١٢ الحسن البويبي، الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين
- إلى ما قبل الحماية (المحمدية، ١٩٩٨ م)، ٢٣٧-٢٣٨، ٢٥٠-٢٦٠.
- ١٣ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية في الغرب الإسلامي - مدونة الكتابات المنقوشة السعدية والعلوية بمدينة فاس دراسة تاريخية وفنية، ج ١ (الدار البيضاء، ٢٠١٠ م)، ٦٢.
- ١٤ ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي، ت: ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (الرباط، ١٩٧٢ م)، ٢١؛ الجزنائي (أبو الحسن علي، من أهل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي)، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور (الرباط، ١٩٩١ م)، ٢١.
- ١٥ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ٥٠؛ الجزنائي، جني زهرة الآس، ٢٧.
- ١٦ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٦٢.
- ١٧ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ٥٦-٥٧؛ أشار الجزنائي إلى هذه الكتابات لكنه لم يذكر نصها، انظر جني زهرة الآس، ٤٧.
- ١٨ ابن القاضي (أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي، ت: ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، القسم الأول (الرباط، ١٩٧٣ م)، ٧٨.
- ١٩ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٦٣.
- ٢٠ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ٥٩؛ أورد الجزنائي هذا النص ولكن أشار إلى أن هذا المنبر صنع عام ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م)، انظر الجزنائي، جني زهرة الآس، ٥٥.
- ٢١ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٦٦.
- ٢٢ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٦٦-٦٧.
- ٢٣ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ٦٥.
- ٢٤ الجزنائي، جني زهرة الآس، ٦٥. مازالت العمائر المرابطية الباقية بالمغرب الأقصى، بمدينة فاس (جامع القرويين) ومراكش (قبة الباروديين)، ومساجدهم بالمغرب الأوسط كالجامع الكبير بتلمسان وجامعي الجزائر وندرومة، تحتفظ بكثير من الكتابات المسجلة عليها، وتكشف هذه النماذج عن اهتمام الفنان المرابطي بالخط والجمع بينه وبين الزخارف النباتية والهندسية في توازن وانسجام، وعن تنوع مضامين هذه الكتابات ما بين نصوص دينية من آيات قرآنية وأدعية، وأخرى تاريخية تشير إلى أسماء المنشئين وتواريخ الإنشاء. انظر، الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٦٨-٧٤؛ ج ٢، الشكلاان، ٢-٢٣، ٣؛
- R. Bourouiba, *L'art religieux musulman en Algérie*, SNED (Alger, 1983), 114-124.
- ٢٥ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٧٥-٧٦.
- ٢٦ ابن صاحب الصلاة (محمد بن أحمد بن إبراهيم الباجي، ت: ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م)، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين

أن المنصور الموحدى دفن بعد وفاته بشالة ووضعت على قبره رخامتان، إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه، ونقشت عليهما أبيات من الشعر تعبر عما خلفه موت هذا الملك من الحزن والأسى، لكن لم يعد هناك أثر لذلك حالياً. انظر، ليون الإفريقي (الحسن بن محمد الوزان، ت: بعد ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج ١ (بيروت، ١٩٨٣م)، ٢٠٣.

- ٣١ ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ج ١، ٢٨٠.
- ٣٢ ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ج ١، ٢٨٠.
- ٣٣ ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ج ١، ٢٨٠.
- ٣٤ ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ج ١، ٢٠٣.
- ٣٥ الجزنائي، جني زهرة الآس، ٧٥-٧٦.
- ٣٦ عن هذه الكتابات انظر، عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج ٤؛ محمد أبو رحاب، المدارس المغربية في العصر المريني (الإسكندرية، ٢٠١١م)؛ وللمؤلف نفسه، جامع ابن صالح المريني بمدينة مراكش - دراسة أثرية معمارية، كتاب المؤتمر الثالث عشر للاتحاد العام للآثارين العرب، الندوة العلمية الثانية عشرة، ج ٢ (طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية، ٢٠١٠م)، ١٥٧٤-١٦٢٧؛
- L.M. Aouni, *Etude des inscriptions mérinides de Fès* ;
A. Bel, *Inscriptions arabes de Fès* (PhD, Université Aix-Marseille, 1991).
- عبد العزيز لعرج، جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان - دراسة أثرية فنية جمالية (الجزائر، ٢٠٠٧م)، ٢٣٥-٢٨٩؛
- Bourouiba, *L'art religieux musulman en Algérie*, 245-267.
- ٣٧ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٩٦.
- ٣٨ محمد أبو رحاب، المدارس المغربية، ٥٣٤.
- ٣٩ الحاج موسى، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٩٣.
- ٤٠ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، القسم الأول، ٤٦-٤٧.
- ٤١ الفشتالي، مناهل الصفا، ٢٢٦-٢٢٧.
- ٤٢ المقري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، ت: ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور (الرباط، ١٩٨٣م)، ٢١-٢٢، ٢٧-٢٩، ٧٩، ١٣٤-١٣٩، ١٥٠، ١٥٣-١٥٥، ١٧٤-١٧٥.
- ٤٣ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٤٥.
- ٤٤ الإفرائي، نزهة الحادي، ٩٥-٩٦، ١١٥، ١٨٢-١٨٦، ١٨٨، ٢٤٦؛ الناصري، الاستقصا، ج ٥، ٣٠، ٥٤، ١٣٦، ١١٨-١٤١.
- ٤٥ الإفرائي، نزهة الحادي، ٢٨٠.

بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي (بيروت - لبنان، ١٩٨٧م)، ٥٤؛ الجزنائي، جني زهرة الآس، ٦٨.

- ٢٧ كالبيلة الرخامية بصحن جامع القرويين التي تحمل تاريخ (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)، وقد أورد كل من ابن زرع والجزنائي الكتابات المنقوشة عليها، انظر ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ٦٤-٦٥؛ الجزنائي، جني زهرة الآس، ٧٣. وعنزة جامع الأندلس التي تحمل نقشاً كتابياً يشير إلى تاريخ الفراغ من صنعها، وهو عام (٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)، والثريا الكبرى بجامع القرويين التي تشير كتاباتها إلى تاريخ صنعها عام (٦٠٠هـ / ١٢٠٣م)، والثريا الصغرى بنفس الجامع التي كانت في الأصل ناقوساً بكنيسة غنمه الموحدون في إحدى حروبهم بالأندلس، ونقشت عليه كتابات تحمل اسم الخليفة الناصر، وثريا الجامع الكبير بمكناس التي تشير الكتابات المنقوشة على بدننها إلى أنها صنعت عام (٦٠٤هـ / ١٢٠٧م)، عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج ٣ (الرباط، ١٩٩٣م)، ٢٧٤-٢٧٦. كما توجد كتابات على عمودين رخامين تحمل اسم أبي العلاء إدريس آخر خلفاء الموحدون الملقب بأبي دبوس، وأعيد استعمالهما لحمل القبة الغربية السعدية بصحن جامع القرويين. عبد الهادي التازي، جامع القرويين، المجلد الأول، ٣٤٠. وقد رجح التازي أن يكون المقصود بأبي العلاء المذكور هو أبو العلاء المريني بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق الذي تولى مشيخة الغزاة بالأندلس إلى أن توفي عام (٧٣٠هـ)، والصواب ما ثبت بالمتن عاليه، انظر، الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٧٦.
- ٢٨ B. Maslow, *Les mosquées de Fès et du Nord du Maroc* (Paris, 1934), 15-16.
- ٢٩ عن هذه الظاهرة بالمغرب، انظر عبد الهادي التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، المجلد الثاني (بيروت - لبنان، ١٩٧٢م)، ٣٦١؛ الكحلوي، عمائر الموحدين، ٨٢. وعن هذه الظاهرة في مصر والمشرق، انظر النعمي (عبد القادر بن محمد الدمشقي، ت: ٩٢٧هـ / ١٥٢١م)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، مكتبة الثقافة الدينية، ج ١ (القاهرة، ١٩٨٨م)، ١٦٦؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج ٣ (القاهرة، ١٩٦٥م)، ١٠٥٤؛ محمد عبد الستار، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة (الإسكندرية، ٢٠٠٠م)، ١٠٥.
- ٣٠ الحاج موسى، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٩١. عثر دفردان Deverdun في الحفائر التي أجراها قرب جامع الكتبية الموحدية بمراكش على تركيبة قبر من الرخام منشورية الشكل رجح رجوعها للعصر المرابطي. وقد نقشت عليها كتابات تتضمن البسملة والتصلية واسم المتوفى وقد فقد منها جزءاً ربما كان يشتمل على تاريخ الوفاة، وقد قرأ دفردان اسم المتوفى على أنه «إبراهيم الأقرع»، في حين رجح عثمان إسماعيل أن تكون القراءة الصحيحة «إبراهيم بن الأفرح»، عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية، ج ٢، ٢٢٨، ٢٣٠. ومن جهة أخرى ذكر الحسن الوزان

- ٤٧ الإفرائي، نزهة الحادي، ٣٥٠.
- ٤٨ الإفرائي، نزهة الحادي، ٣٥٣.
- ٤٩ الإفرائي، نزهة الحادي، ٣٧٣-.
- ٥٠ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٣-٤٢.
- ٥١ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٣.
- ٥٢ M.E. HéLouis, « Une inscription arabe du XIV^e siècle provenant de Fez (Maroc) », *Journal asiatique* V (janvier-février, 1895).
- وقد انتزعت هذه البلاطات على يد أحد أهل فاس بدافع من هلويس الذي لم يتمكن من دخول هذه المدرسة؛ لتحریمها على الأجانب كغيرها من الآثار الإسلامية المغربية. محمد أبو رحاب، المدارس المغربية، ٤٣٩.
- ٥٣ A. Bel, *Inscriptions arabes de Fès*.
- ٥٤ Basset et Provençal, *Chella : Une nécropole mérinide*.
- ٥٥ G. Rousseau, *Le mausolée des princes sâdiens à Marrakech*.
- ٥٦ H. de Castries, *Le cimetière de Djama El-Mansour*, Hespéris, Tome VII (Librairie Larose, 1927).
- ٥٧ G. Deverdun, *Inscriptions arabes de Marrakech*, Éditions Techniques Nord-Africaines (Rabat, 1966).
- ٥٨ للاستزادة حول هذا الموضوع انظر، معزوز عبد الحق ولخضر درياس، جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر، ج ١ - كتابات الشرق الجزائري (الجزائر، ٢٠٠٠ م)، ٨؛ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٤؛ ٣٧.
- ٥٩ G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident (Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile)* (Paris, 1954).
- ٦٠ Maslow, *Les mosquées de Fès et du Nord du Maroc*, Les Éditions d'Art et d'Histoire (Paris, 1934).
- ٦١ H. Terrasse, *Histoire du Maroc des origines à l'établissement du Protectorat français* (Casablanca, 1949).
- ٦٢ H. Basset et H. Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades* (Paris, 1932).
- ٦٣ J. Revault, L. Golvin et A. Amahan, *Palais et demeures de Fès*, Ed. du CNRS (Paris, 1985).
- ٦٤ Aouni, *Etude des inscriptions mérinides de Fès*, Thèse de doctorat.
- ٦٥ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية.
- ٦٦ تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى الدراسة التي أعدتها الباحثة نيرة رفيق جلال بعنوان النقوش الكتابية على الآثار المنقولة في المغرب الأقصى خلال عصري السعديين والعلويين (٩١٥ - ١٢٠٤ هـ/١٥١٠-١٧٨٩ م) دراسة آثارية مقارنة (رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ٢٠١٠ م).
- ٦٧ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٤ - ١٥.
- ٦٨ عبد الرحمن بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس (الرباط، ١٩٢٩ م)؛ عبد الرحمن بن زيدان، الدرر الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة (الرباط، ١٩٣٧ م)؛ عبد الهادي التازي، جامع القرويين بمدينة فاس؛
- A. Touri, *Les oratoires des quartiers de Fès : Essai d'une typologie* (Thèse de doctorat de 3^e cycle, Paris, 1980) ; A. Mghari, *Les mosquées à Khotba de Moulay Sliman (1792-1822)* (Thèse de doctorat de 3^e cycle, Institut d'Art et d'Archéologie, 1986) ;
- محمد الكحلاوي، مساجد الموحدين بالمغرب الأقصى؛ عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والتحف التطبيقية؛ عثمان إسماعيل، دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى (بيروت، د.ت)؛ محمد أبو رحاب، المدارس المغربية في العصر المريني؛ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين؛ رامي ربيع راشد، عمارة المساجد في عهد المولى إسماعيل العلوي (١٠٨٢ - ١١٣٩ هـ/١٦٧٢ - ١٧٢٧ م) بمدينة مكناس - دراسة أثرية حضارية (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ٢٠١١ م).
- ٦٩ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٥١٩.
- ٧٠ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٥٥٧-٥٥٨؛ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٥٢٠.
- ٧١ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٥٥٧-٥٥٨.
- ٧٢ أندريه باكار، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، ترجمة سامي جرجس، المجلد الثاني (د.ت، ١٩٨١ م)، ٢٢٦.
- ٧٣ الفشتالي، مناهل الصفا، ٢٥٦.
- ٧٤ المقرري، روضة الآس، ١٥١، ١٥٣.
- ٧٥ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٦١٨.
- ٧٦ محمد حمزة إسماعيل الحداد، النقوش الكتابية الإسلامية وقيمتها التاريخية، دراسات آثارية (٢) (الرياض، ٢٠٠٠ م)، ١٩.
- ٧٧ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١١٩-١٢٢.
- ٧٨ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٢٠-١٢١.
- ٧٩ ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، ت: ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م)، تحفة النظر في غرائب

- الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة، تحقيق كرم البستاني (بيروت، ١٩٩٢م)، ٦٧٣.
- ٨٠ الإفرائي، نزهة الحادي، ١٠٧-١٠٨.
- ٨١ محمد بن عبد الله المؤقت المراكشي، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، مراجعة وتعليق أحمد متفكر، المطبعة والوراقة الوطنية، (مراكش، ٢٠١١م)، ٢٢؛ محمد حجي، المراكز الثقافية المغربية في العصر السعدي الثاني (٢)، مجلة البحث العلمي، العدد السابع، السنة الثالثة، ج ٦٣ (الرباط، ١٩٦٦م)، ٢٥؛ عبد العزيز بن عبد الله، الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال، مجلة اللسان العربي، المجلد التاسع (الرباط، ١٩٧٢م)، ٢٦٢؛ إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، ٢٠٧-٢٠٨.
- ٨٢ محمد أبو رحاب، العمان الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣١٦.
- ٨٣ مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ٣٤.
- ٨٤ محمد أبو رحاب، العمان الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٣٢.
- ٨٥ الإفرائي، نزهة الحادي، ١٠٧؛ الناصري، الاستقصا، ج ٥، ٣٩-٤٠.
- ٨٦ محمد أبو رحاب، العمان الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٢٧٧.
- ٨٧ للاستزادة حول هذا الموضوع انظر، فرج حسين فرج، النقوش الكتابية المملوكية على العمان في سوريا (٦٥٨ - ٩٢٢هـ/١٢٦٠-١٥١٦م) - دراسة آثارية فنية مقارنة (رسالة دكتوراه، جامعة سوهاج، ٢٠٠٨م)، ٧٨٧؛ محمد عبد الستار عثمان، الجامع الأقمر دراسة آثارية مذهبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، (الإسكندرية، ٢٠١٢م)، ٨١.
- ٨٨ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، القسم الأول ٤٦-٤٧؛ المقري، روضة الآس، ٢٢.
- ٨٩ المقري، روضة الآس، ٢١.
- ٩٠ ابن زيدان، الدرر الفاخرة، ١٣٨.
- ٩١ المقري، روضة الآس، ٢٢.
- ٩٢ المقري، روضة الآس، ٢٢.
- ٩٣ التازي، جامع القرويين، المجلد الثاني، ٣٣٧؛ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٣٦-١٣٧.
- ٩٤ المقري، روضة الآس، ٢٢؛ التازي، جامع القرويين، المجلد الثاني، ٣٣٧؛ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٣٦-١٣٧.
- ٩٥ التازي، جامع القرويين، المجلد الثاني، ٣٤٠، ٣٣٧؛ G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, 387.
- ٩٦ التازي، جامع القرويين، المجلد الثاني، ٣٣٩؛ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٣٩.
- ٩٧ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٤٠.
- ٩٨ التازي، جامع القرويين، المجلد الثاني، ٣٣٨؛ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٤٠.
- ٩٩ عادل شريف، النصوص التأسيسية على العمان الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة - دراسة مقارنة في ضوء التخطيط وما ورد بالمصادر والوثائق (رسالة دكتوراه، جامعة أسبوط، ١٩٨٦م)، ١٤؛ فرج حسين فرج، النقوش الكتابية المملوكية، ٧٧٣-٧٧٧.
- ١٠٠ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٩٥؛ محمد أبو رحاب، المدارس المغربية، ٥٣٦.
- ١٠١ عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج ٥، ١٥٠؛ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٤٩-١٥٢.
- ١٠٢ H. Lavoix, *Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque nationale : Espagne et Afrique* (Paris, 1891), 480-491, 496-498;
- عبد العزيز صلاح سالم، إضافات جديدة على نقود الدولة السعدية في ضوء نشر مجموعة مخزن المتحف الوطني للآثار بالرباط - دراسة أثرية فنية، مجلة أبجديات، العدد الخامس (٢٠١٠م)، ١٣٣-١٥١.
- ١٠٣ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٥٦٠؛ عبد العزيز صلاح، مجلة أبجديات، العدد الخامس، ١٥١.
- ١٠٤ مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ١٣.
- ١٠٥ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، القسم الأول، ٩، ٤٦، ٥٧، ٧٥، ٢١٢-٢١٣؛ القسم الثاني، ٤١٨-٤٤٢.
- ١٠٦ الفشتالي، مناهل الصفا، ٢٥.
- ١٠٧ المقري، روضة الآس، ٣، ٦٢، ٢٤٠.
- ١٠٨ ابن الوقاد (محمد بن عبد الرحمن التلمساني، توفي بعد ١٠٩٨هـ/١٩٨٧م)، تارودانت فيما بين (١٠٦٨-١٠٧٣هـ/١٦٥٨-١٦٦٢م) من خلال مقيدات ابن الوقاد التلمساني، دراسة وتحقيق نور الدين صادق (تارودانت، ١٩٩٨م)، ٤٢.
- ١٠٩ ابن عيشون الشراط (أبو عبد الله محمد، ت: ١١٠٩هـ/١٦٩٧م)، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق زهاء النظام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (الدار البيضاء، ١٩٩٧م)، ١٠٣.
- ١١٠ الإفرائي، نزهة الحادي، ٢٨.
- ١١١ الناصري، الاستقصا، ج ٥، ٤.
- ١١٢ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٥٥٩-٥٦٠؛ عبد العزيز صلاح، مجلة أبجديات، العدد الخامس، ١٥١.

- ١١٣ سورة الأحزاب، من الآية ٣٣.
- ١١٤ سورة هود، من الآية ٧٣.
- ١١٥ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٦٩، ٣٩٧، ٤٣٦، ٤٤٠؛ الحاج موسى، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٤٩، ١٥٤.
- ١١٦ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٣٢.
- ١١٧ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٣١.
- ١١٨ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٢٧.
- ١١٩ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣١٦.
- ١٢٠ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٣٨.
- ١٢١ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٢٠.
- ١٢٢ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٠٦.
- ١٢٣ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٨٥. وفي هذا إشارة إلى الحديث الذي رواه ابن عساكر عن ابن عمران عن الرسول ﷺ، قال: «كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري». انظر، محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير) (بيروت، ١٩٨٨م)، رقم الحديث ٤٦٤، ص ٨٣٦.
- ١٢٤ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤١٢.
- ١٢٥ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٤٣.
- ١٢٦ القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، ت: ٨٢١ هـ / ١٤١٧ م)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج (بيروت، د.ت)، ج ١، ١٤١-١٦.
- ١٢٧ الشراط، الروض العطر، ١٥٧؛ الناصري، الاستقصا، ج ٦، ٥٢ - ٥٩.
- ١٢٨ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٨٢، ٣٩٠، ٤٠٦.
- ١٢٩ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٣٢.
- ١٣٠ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٨٥؛ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٤٣، ٥٥٩.
- ١٣١ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٤٠، ١٤٣.
- ١٣٢ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٢٢.
- ١٣٣ الإفرائي، نزهة الحادي، ٣٥٥-٣٧٣؛ إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، ١٠٠، ١٠١.
- ١٣٤ القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج ١، ٢٠ - ٢٨؛ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٥٥٩.
- ١٣٥ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٥٥٩ - ٥٦٠.
- ١٣٦ محمد أبو رحاب، المدارس المغربية، ٣٠٨، ٣١٢، ٣٤٢، ٣٤٩، ٤٢٢، ٣٨٦.
- ١٣٧ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٢٧.
- ١٣٨ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٨٦.
- ١٣٩ سورة البقرة، الآية ٢٥٥.
- ١٤٠ لحسن اليوبي، الفتاوى الفقهية، ٢٣٤.
- ١٤١ ديكودي توريس (النصف الثاني من القرن ١٠ هـ / ١٦ م)، تاريخ الشرفاء، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر (الدار البيضاء، ١٩٨٨ م)، ١٥٩.
- ١٤٢ سورة البقرة، الآية ٢٨٥.
- ١٤٣ سورة الفتح، الآيات ٤ - ١٠.
- ١٤٤ لحسن اليوبي، الفتاوى الفقهية، ٢٣٥.
- ١٤٥ ديكودي توريس، تاريخ الشرفاء، ١٢١ - ١٢٣.
- ١٤٦ لحسن اليوبي، الفتاوى الفقهية، ٢٣٥.
- ١٤٧ سورة التوبة، الآية ٧٤.
- ١٤٨ سورة التوبة، الآيتان ٢١، ٢٢.
- ١٤٩ سورة التوبة، الآية ٧٢.
- ١٥٠ سورة الأنبياء، الآيات ١٠١ - ١٠٣.
- ١٥١ سورة النساء، الآية ١٢٢.
- ١٥٢ سورة النور، الآية ٣٦، من الآية ٣٧.
- ١٥٣ سورة الإسراء، الآية ٧٨.
- ١٥٤ سورة المنافقون، الآية ٩.
- ١٥٥ سورة الزمر، من الآية ٩.
- ١٥٦ سورة التوبة، الآية ٧٣؛ سورة التحريم، الآية ٩.
- ١٥٧ سورة الصف، من الآية ١٣.

- ١٥٨ سورة الفتح، الآية ١.
- ١٥٩ سورة الأنبياء، الآيتان ١٠٥، ١٠٦.
- ١٦٠ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٠٦.
- ١٦١ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٠٦.
- ١٦٢ الحاج موسى، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٤٩؛ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٣٢.
- ١٦٣ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٣٢.
- ١٦٤ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤١٥.
- ١٦٥ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤١٩.
- ١٦٦ سورة الأحزاب، من الآية ٣٣.
- ١٦٧ سورة هود، من الآية ٧٣.
- ١٦٨ لحسن اليوبي، الفتاوى الفقهية، ٣٦١؛ ديل إيكلمان، الإسلام في المغرب، ترجمة محمد أعفيف، ج ١ (الدار البيضاء، ١٩٩١م)، ٣٨.
- ١٦٩ الإفرائي، نزهة الحادي، ٩٠.
- ١٧٠ لحسن اليوبي، الفتاوى الفقهية، ٧٣، ٣٠٦؛ ديل إيكلمان، الإسلام في المغرب، ج ١، ٣٨.
- ١٧١ إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع، ٣٣٩.
- ١٧٢ الإفرائي، نزهة الحادي، ٩٠-٩١؛ إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع، ٣٣٩.
- ١٧٣ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٠٦-٤٠٧.
- ١٧٤ الإفرائي، نزهة الحادي، ١٠٧.
- ١٧٥ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٣٢.
- ١٧٦ الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (الرباط، ١٩٨٦م)، ط ٢، ٢٣؛ لحسن اليوبي، الفتاوى الفقهية، ١٤٦، ٣٧٦-٣٧٩.
- ١٧٧ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٢٧.
- ١٧٨ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٢٧.
- ١٧٩ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٣١؛ وللإستزادة عن هذه البردة، انظر، البوصيري (محمد بن سعيد بن
- حماد بن عبد الله بن صنهاج، ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، الكواكب الدرية في مدح خير البرية المعروفة بالبردة، ضبطها أحمد علي حسن، وبهامشها مختصر الشيخ إبراهيم الباجوري (القاهرة، ١٩٩٨م)؛ خالد عزب ومحمد الجمل، روائع الخط العربي بجامعة البوصيري (الإسكندرية، ٢٠٠٥م).
- ١٨٠ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٨٥.
- ١٨١ محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع، رقم الحديث ٤٦٤، ٨٣٦.
- ١٨٢ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٨٤.
- ١٨٣ محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث ٤٣١٥، ٧٩٥.
- ١٨٤ عبد الهادي التازي، جامع القرويين، المجلد الثاني، ٣٣٩.
- ١٨٥ البيهقي (أحمد بن الحسين، ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه عبد العلي عبد الحميد حامد، ج ١ (الرياض، ٢٠٠٢م)، ٣٣٤.
- ١٨٦ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٩٠.
- ١٨٧ سورة الرحمن، الآيتان ٢٦، ٢٧.
- ١٨٨ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٩١.
- ١٨٩ سورة آل عمران، جزء من الآية، ١٨٥.
- ١٩٠ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٢٨.
- ١٩١ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤١٧.
- ١٩٢ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٨٣-٣٨٤.
- ١٩٣ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٠٤.
- ١٩٤ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس (نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين)، طبعة خاصة من مكتبة الخانجي لمكتبة الأسرة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، ٢٠٠١م)، ج ٧، ٢٩٤-٢٩٨؛ محمد عبد المنعم الجمل، قصور الحمراء ديوان العمارة والنقوش العربية (الإسكندرية، ٢٠٠٤م)، ٢٨٧؛ حسام أحمد مختار العبادي، التعاويذ والتمايم في فنون دولة بني نصر أو بني الأحمر بغرناطة (٦٣٥-٨٩٧هـ / ١٢٣٨-١٤٩٢م)، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية (٢)، (الرياض، ٢٠١١م)، ٣١٣.
- ١٩٥ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر

- الأشراف السعديين، ٣٨٦.
- ٢١٩ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤١٨.
- ٢٢٠ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٨٢.
- ٢٢١ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣١٦.
- ٢٢٢ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤١٩.
- ٢٢٣ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤١١.
- ٢٢٤ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤١٩.
- ٢٢٥ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٢٥.
- ٢٢٦ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٠٦.
- ٢٢٧ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٣٢.
- ٢٢٨ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٠٦.
- ٢٢٩ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٣٢.
- ٢٣٠ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٨٤.
- ٢٣١ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٨٤.
- ٢٣٢ سعد محمد العزايزة، شعر النقوش عند ابن زمرك الأندلسي دراسة موضوعية فنية، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني (غزة، يونيو ٢٠٠٥م)، ٧.
- ٢٣٣ سعد محمد العزايزة، شعر النقوش عند ابن زمرك الأندلسي، ٣٥.
- ٢٣٤ محمد رزوق، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦-١٧ (الدار البيضاء، ١٩٩١م)، ٤٠؛ محمد أبو رحاب، جامع ابن صالح المريني بمدينة مراكش - دراسة أثرية معمارية، ١٥٧٥؛
- Maslow, *Les mosquées de Fès et du Nord du Maroc*, 15-16.
- ٢٣٥ محمد أبو رحاب، المدارس المغربية، ٣٥٤، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٧٧، ٤٢٦-٤٢٨.
- ٢٣٦ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٩٦.
- ١٩٦ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ٦٢؛ عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج ١، ٢٦٧.
- ١٩٧ سورة الأحزاب، الآية ٥٦.
- ١٩٨ عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج ٢، ٢٢٤، ٢٢١.
- ١٩٩ عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج ٣، ٣٠٠.
- ٢٠٠ محمد أبو رحاب، المدارس المغربية، ٣٨٦.
- ٢٠١ سورة الأحزاب، الآية ٥٦.
- ٢٠٢ محمد أبو رحاب، المدارس المغربية، ٣١٢.
- ٢٠٣ محمد أبو رحاب، المدارس المغربية، ٣٦٨.
- ٢٠٤ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٢٧.
- ٢٠٥ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٨٩.
- ٢٠٦ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٨٦.
- ٢٠٧ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٩٠.
- ٢٠٨ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٨٨.
- ٢٠٩ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٠٤.
- ٢١٠ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤١٩.
- ٢١١ سورة البقرة، نهاية الآية ٢٨٥.
- ٢١٢ سورة البقرة، آية ٢٨٦.
- ٢١٣ سورة آل عمران، الآيتان ١٩٣، ١٩٤.
- ٢١٤ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٣١.
- ٢١٥ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٢٧٧.
- ٢١٦ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٤٣٢.
- ٢١٧ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٩٧.
- ٢١٨ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٨٦.

- ٢٣٧ عن الأشعار التي نقشت على جدران قصر البديع السعدي بمراكش، انظر: عبد الله بنصر العلوي، قصر البديع في الشعر العربي - دراسة في شعريات المكان، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، عدد ٦ (مراكش، ١٩٩٠م)؛ نجاة المريني، قصر البديع في شعر الفشتالي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، عدد ٦، (مراكش، ١٩٩٠م).
- ٢٣٨ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣١٩.
- ٢٣٩ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٢١.
- ٢٤٠ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٢٤-٣٢٥.
- ٢٤١ محمد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ٣٢٩.
- ٢٤٢ المقري، روضة الآس، ٢٢.
- ٢٤٣ المقري، روضة الآس، ٢٢؛ التازي، جامع القرويين، المجلد الثاني، ٣٣٧؛ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٣٦-١٣٧.
- ٢٤٤ التازي، جامع القرويين، المجلد الثاني، ٣٣٩؛ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٣٩.
- ٢٤٥ التازي، جامع القرويين، المجلد الثاني، ٣٣٨؛ الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية، ج ١، ١٤٠.